عنوان الكتاب: الأسطورة في المعتقدات البدائيّة
المؤلّف: منتصر بوعجيلة
البريد الإلكتروني: montassarbouajila@gmail.com
الموقع الإلكتروني: بيت الحكمة للدراسات الدينية المقارنة

****

هذا العمل هو مذكرة ختم الدروس لنيل شهادة الإجازة الأساسية في العلوم الشرعية والتفكير الإسلامي بجامعة الزيتونة، نوقشت في ماي 2009،
اللجنة:

- الأستاذ الدكتور: رضا عزوز رئيسا
- الأستاذ الدكتور: حراث بوعلاقي مشرفا
- الأستاذ الدكتور: سيف الدين ماجدي مناقشا

Bouajila montassar

الإهداء

إلى روح والدي

نبيل بوعجيلة

مقدمة

مقدّمة عامة

إنّ دراسة الظواهر الدينية أمر يستلزم البحث الطويل والنظر الدقيق في كل ما يتعلّق بهذا المجال، وتبرز دراسة الظواهر الدينية لدى المجتمعات البدائية لتحتضن المكانة البارزة في اهتمامات علماء تاريخ الأديان الذين غاصوا بكل وسائلهم لدراسة ظواهر عديدة مثل القرابين و السحر والصلوات،

وتأخذ دراسة ظاهرة الأسطورة حيّزا ليس بالضئيل في اهتمامات هؤلاء العلماء، واستولت على عنايتهم بها لما تشكلّه هذه الظاهرة الدينية من أهمية في المعتقدات البدائية، فحاولوا أخذ هذه الظاهرة في محيطها وتنزيلها ضمن النظام الديني البدائي للقرب من هذا النظام و الكشف عن خباياه.

أسباب اختيار الموضوع

- أسباب موضوعية:

إنّ اهتمام علماء تاريخ الأديان بالنظام الديني لدى المجتمعات البدائية، يحتّم التطرّق إلى ظاهرة الأسطورة. فهي مرتبطة شديد الارتباط بالدين بل تكاد تكون العنصر البارز الذي يسعى من خلاله الإنسان الأول إلى فهم الكون وفهم دوره من خلال التذكير بأساطير الأسلاف.

وتبدو أهمية البحث في هذه الظاهرة عند استقراء المؤلفات العديدة التي أُلّفت حول الموضوع، ومن أبرز تلك المؤلفات ما كتبه فراس السواح الذي اهتم

بأساطير الشرق الأدنى القديم، إيمانا من هذا الرجل بقيمة الأسطورة من خلال المنهج العلمي الاستقرائي الذي غلب على جميع تآليفه.

كما أنّ هذه الظاهرة يمكن أن تدرس من عديد الجوانب، فقد شغلت أعمال علماء الآثار، و الأنتروبولوجيا، و الإتنولوجيا، والفلسفة، والأدب، وتاريخ الأديان. فكانت جميع هذه الدراسات تستقطب الكثير من الردود والنقد لأنّها اتخذت سبلا مختلفة عند البحث حسب متطلبات كل علم، ويمثل هذا العمل جولة بين المناهج المعتمدة في دراسة الأسطورة.

ولا يخفى على أحد تأثر الفكر الديني السماوي بظاهرة الأسطورة، خاصة الفكر الديني اليهودي الذي كان قريبا من هذه الأساطير بحكم القرب المكاني و الزماني الذي جعله ينهل من هذه الأساطير ما طاب له من معاني.

- أسباب ذاتية:

يمثل مجال تاريخ الأديان بالنسبة لمطالعاتي الشخصية أكبر مجال يستأثر على هوى الرغبة الفكرية لديّ، فهو مجال يفتح الباب على الآخر مهما كانت درجة إيمانه بالإله الذي أؤمن به ومهما اختلفت نظرتنا لخالق الكون.

وحسب رأيي مهما كانت تجربة الإنسان الدينية تختلف من مكان لآخر فهي محترمة ولا يمكن تجريح أيّ واحدة لأنها مخالفة عن الأخرى، فالرسالات

السماوية قد أوصلتنا عبر العقل و الوحي لمعرفة الله، فالديانات البدائية من خلال الأسطورة أوصلت الإنسان البدائي إلى تحقيق إنتاج روحيّ صامد عبر العصور.

ولا يمكن في نظري أن يتم فهم الإنسان لوجوده إلاّ بدراسة علاقته بمحيطه وهذا الأمر مكنت منه الأسطورة، التي– و بقطع النظر عن مدى صحتها– فيها لمحة عن حقيقة الإنسان والهدف من وجوده، وكأنّ الأسطورة حسب رأيي تلبي شغفا انطولوجيا أو جوابا عن لغز وجوديّ.

المنهج

وفي هذا العمل تمّت دراسة الموضوع بالطريقة التي تتطلبها مذكرة ختم الدروس، فليس على الطالب في المذكرة أن يأتي بمنهج جديد كما هو الحال في رسالة دكتوراه بل هو مطالب بإظهار قدرته في التعامل مع المعلومة وتنظيم الرصيد الذي أوجده عند البحث.

وفي هذا العمل حاولت أن أنجح في التأليف بين المعلومات و الترجيح بين الآراء المختلفة حسب الرأي الذي يكون دليله أقوى وأوضح. فهذا العمل ليس مجرّد سلسلة من الاقتباسات خالية من التدقيق والمراجعة والتعليق.

كما أني سعيت في هذا العمل إلى اعتماد طريقة الأستاذ المشرف في عملية التوثيق باللغة العربية، ونصائح الأب "دياغو ساريو" أمين المكتبة الأسقفية (مكتبة علوم الأديان)، في توثيق المراجع باللغة الفرنسية.

خطّة البحث

ينقسم البحث إلى أربعة فصول مقسّمة بدورها إلى مجموعة مباحث، ففي الفصل الأول كان الاهتمام بتعريف الأسطورة اللغوي والاصطلاحي، وتاريخية هذه الظاهرة. أما في الفصل الثاني فقد كان الاهتمام بالمعتقدات البدائية وسميت الفصل ب"المعتقدات البدائية:جذورها و تشكلاتها" إذ تمّ التطرّق إلى مفهوم البدائية والخصائص المميزة للمعتقدات البدائية.

أما الفصل الثالث فقد اقترن بالبحث في خصائص الأسطورة و وظائفها.والفصل الرابع تمّ تخصيصه لنماذج من الأساطير أين كانت قراءة في نص أسطورة الخليقة وقبلها التطرق إلى المواضيع الأسطورية الكبرى.

أما المقدمة والخاتمة فقد كانت صياغتها بما هو معهود في البحث العلميّ من عناصر، علما وأن المقدمة كانت كتابتها في آخر العمل، وفيها نبذة عن الكتب السابقة التي ألّفت في هذا الموضوع. والخاتمة ليست خلاصة لما وجد في ص البحث بل هي رصد لنتائج العمل.

الصعوبات

تُستخلص الصعوبات التي لقيتها في هذا البحث ببعض الصعوبات، أولها يفاعة تجربتي في البحث العلميّ فهذا العمل هو التجربة الأولى في هذا الإطار، رغم أنه على طوال دراستي بالجامعة قمت بإنجاز بحوث لكنها ليست بحجم هذا العمل سواء من ناحية الكم والكيف أو من ناحية الجدية التي يجب أن يُلتزم بها في العمل. وثاني الصعوبات ميزة الموضوع بما أنه موضوع مفتوح ويتميز بصعوبة حصره فكان لابدّ من تناول جميع القضايا دون المساس بالتخطيط وعدم تهميش المنهج،

ومن الصعوبة بما كان تناثر المعلومات بين الكتب وصعوبة الإتيان بكل الجزئيات لغياب بعض الكتب ولوجود الآخر باللغة الانجليزية أو الألمانية التي هي ليست باللغات التي أتقنها. ومن المصادر التي لم أتمكن من الحصول عليها مقال دار في جريدة « Le Monde » الفرنسية، بتاريخ 5و6 ماي 1986 وأُجري هذا المقال مع مرسيا إلياد، ورغم أنّ هذا المقال لا يوجد إلا في مكان واحد لأنّه من الأرشيف فقد توجهت إلى المركز الثقافي الفرنسي غير أني لم أتمكن من الحصول عليه.

نقد المصادر والمراجع

لقد كان توجهي في هذا العمل هو البحث عن المصادر الأصلية التي لابد من الأخذ منها ففي التعريفات اللغوية اعتمدت مثلا على ابن منظور وكتابه لسان العرب، أما بالنسبة للغات الأخرى فقد اعتمدت على القواميس المعتمدة في عملية البحث.

ولئن كانت المراجع باللغة الفرنسية موجودة بل أني تمكنت من الحصول على مجلة فرنسية لشهري جانفي وفيفري من هذه السنة فإني وجدت صعوبة في التعامل مع المصادر الانجليزية. ومن أهم الكتب اعتمادا هي كتب فراس السواح و إلياد و كارم محمود عزيز و محمد الخطيب.

الفصل الأول:

تعريف الأسطورة وتاريخيتها

تمهيـــــد

لقد أخذت عديد الظواهر الدينية مكانة كبرى في المجتمعات التقليدية. ومن هذه الظواهر نجد ظاهرة الأسطورة.

وقد ذهب العلماء على اختلاف اختصاصاتهم مذاهب عدة في دراسة هذه الظاهرة وبحثوا في تعريف الأسطورة و تاريخيتها.لذلك يتجه المبحث الأول لرصد أهم التعريفات الموجودة للظاهرة، وذلك بالبحث في المفهوم من ناحية اللغة أي رصد التعريفات اللغوية للفظة، هذا بالإضافة إلى التعريف الاصطلاحي حسب علماء الدين والفلسفة والنفس والأنتروبولوجيا.

أما المبحث الثاني فهو بحث في تاريخية الظاهرة وحضورها عبر العصور المختلفة. وفي هذا المبحث لن يكون القصد منه عرضا شاملا يقف عند كل التفاصيل ويدقق في الجزئيات ويؤرخ لكل مرحلة من مراحلها بقدر ما هو رصد للعوامل التي ساعدت على نشأتها والمؤثرات التي كان لها دورها الفعال في تصورها.

المبحث الأول:التعريف

- **التعريفات اللغوية**

إن المتتبع للجذر اللغوي للأسطورة "سطر" يجد له عدة معاني مثل الكتابة و الضرب و الخطأ في الكتابة إضافة إلى التأليف.

يقول ابن منظور"و السطر: الخط والكتابة، وهو في الأصل مصدر. الليث: يقال سطر من كتب و سطر من شجر معزولين ونحو ذلك"(1)

كما ورد في المعجم الأساسي "سطر يسطر سطرا الكتاب و الرسالة و نحوهما: كتبهما"(2)

و يقال" سطره بالسيف ضربه فقطعه كما يقطع اللحم بالساطور"(3)

أكد على هذا المعنى ابن منظور "و يقال سطر فلان فلانا بالسيف سطرا إذا قطعه به كأنه سطر مسطور ومنه قيل لسيف القصاب ساطور. الفراء: يقال ساطر و سطار وشطاب ومشتقص ولحام وقدار وجزار"(4)

---

1. ابن منظور(محمد)، لسان العرب، دار لسان العرب بيروت، (دون ط) :143/2
2. المنظمة العربية للتربية و الثقافة والعلوم، المعجم العربي الأساسي، لاروس 1989: ص622.

3 الكرمي (حسن سعيد)، الهادي إلى لغة العرب، الطبعة الأولى، دار لبنان للطباعة 1991 :344/2

4 ابن منظور(محمد)، المصدر السابق: ص143

و قد جاءت بمعنى الخطأ كما أورد الكرمي"أسطر يسطر اسطارا الرجل أخطأ في قراءته أو كتابته. وأسطرت العبارة تجاوزت السطر الذي هي فيه وانتقلت إلى السطر الذي يليه"(1)

وقد تطرق ابن منظور لهذا المعنى "قال أبو سعيد الضرير سمعت أعرابيا فصيحا يقول أسطر فلان اسمي أي تجاوز السطر الذي فيه اسمي، فادا كتبه قيل سطره"(2)

أما معنى التأليف فهي عندما تكون الطاء مضعفة يقول ابن منظور"سطرها ألفها. و سطر علينا أتانا بالأساطير. الليث: سطر فلان علينا يسطر إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل. يقال هو يسطر ما لا أصل له"(3)

و عند الكرمي نفس هذا المعنى لنفس اللفظ "سطر يسطر تسطيرا الرجل جاء بالأساطير، ويقال هذا مما سطروا من أعاجيب أحاديثهم ، أي ألفوا و قصوا".(4)

---

1. الكرمي (حسن سعيد) ، المصدر السابق :344/2
2. ابن منظور(محمد)، المصدر السابق، 143/2
3. ابن منظور(محمد)، المرجع نفسه.
4. الكرمي(حسين سعيد)، المرجع السابق:2/

إذن، تتعدد المعاني ككل لفظ في اللغة العربية غير أن المعنى الأخير يحيل إلى معنى الأباطيل و الأكاذيب.و هو المعنى المختار عند أهل اللغة لكلمة "أسطورة" يقول ابن منظور "و الأساطير الأباطيل و الأساطير أحاديث لا نظام لها، واحدتها اسطار و اسطارة بالكسر، وأسطير وأسطيرة و أسطير و أسطور وأسطورة"(1)

و يقول الفيومي "والأساطير الأباطيل واجدها اسطارة بالكسر و أسطورة بالضم"(2)

و يقول الكرمي "أسطورة الأسطورة حكاية أو قصة يشكك في صحتها و الجمع أساطير" (3)

أما في القرآن الكريم فقد ورد معنى الكتابة كدلالة للفظة"سطر" فقولك سطر يعني كتب و ذلك عند قوله تعالى: «والطور وكتاب مسطور في رق منشور».(4)

و كذلك في سورة القلم عند قوله عز وجل:« ن والقلم وما يسطرون.»(5)

---

1. ابن منظور(محمد)، المصدر السابق :2 /143
2. بن محمد بن علي(أحمد)، المصباح المنير، (دون ط)،نوبليس(د.ت) 3 /375
3. الكرمي(حسين سعيد)، المصدر السابق: 344/2
4. الطور/1
5. القلم/1

وقد نحا فضيلة الشيخ بن عاشور بالأسطورة نحوا آخ، ففي تفسيره للآية الخامسة والعشرين من سورة الأنعام:«حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الِذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين »(1) حيث كتب الإمام ما يلي: "و الأساطير جمع أسطورة (بضم الهمزة و سكون السين)وهي القصة والخبر عن الماضيين. والأظهر أن الأسطورة لفظ معرب عن الرومية:أصله إسطوريا وهو القصة. و يدل لذلك اختلاف العرب فيه. فقالوا : أسطورة و أسطيرة و أسطور وأسطير.كلها (بضم الهمزة)و:إسطارة وإسطار(بكسر الهمزة). والاختلاف في حركات الكلمة الواحدة من جملة أمارات التعريب. ومن أقوالهم : أعجمي فالعب به ما شئت". و أحسن الألفاظ لها الأسطورة لأنها تصادف صيغة تفيد معنى المفعول، أي القصة المسطورة. وتفيد الشهرة في مدلول مادتها مثل الأعجوبة والأحدوثة والأكرومة. وقيل: الأساطير اسم جمع لا واحد له مثل أبابيل و عبابيد و شماطيط. وكان العرب يطلقونه على ما يتسامر الناس به من القصص والأخبار على اختلاف أحوالها من صدق و كذب."(2)

---

1. الأنعام/25

2. ابن عاشور(محمد الطاهر)، التحرير والتنوير، (دون ط)، الدار التونسية للنشر 1984 :182/7

ويضيف الشيخ بقوله" وقد كانوا لايميزون بين التواريخ والقصص والخرافات فجميع ذلك مرمي بالكذب والمبالغة. فقولهم "إن هذا إلا أساطير الأولين"يحتمل أنهم أرادوا نسبة أخبار القرآن إلى الكذب على ما تعارفوه من اعتقادهم في الأساطير. و يشتمل أنهم أرادوا أن القرآن لا يخرج عن كونه مجموعة قصص و أساطير. يعنون أنه لا يستحق أن يكون من عند الله لأنهم لقصور أفهامهم أو لتجاهلهم يعرضون عن الاعتبار المقصود من تلك القصص و يأخذونها بمنزلة الخرافات التي يتسامر الناس بها لتقصير الوقت. وسيأتي في سورة الأنفال أن من قال ذلك النضر الحارث".(1)

وقد علق محمد حسين فنطر على هذا الكلام وبين أهمية هذا التحليل حيث قال " فواضح أن صاحب التحرير و التنوير ينسب كلمة أسطورة إلى أصول رومية حيث يقول عنها لفظ معرب عن الرومية. لماذا نحا هذا النحو؟ قد يكون تأثر بما افترضه كازيمرسكي من علاقة بين الأسطورة واللفظ الإغريقي هستوريا. أورد المعجمي البولوني تفسيره افتراضا بعيدا عن القطع. و الجدير بالإضافة في هدا الشأن أن كلمة هستوريا في اللغة الإغريقية تعني التحقيق

---

1. ابن عاشور(محمد الطاهر)، المرجع السابق: ص 182.

والبحث عن الحقيقة أو عن الواقع المعيش وهو ما فعله هيرودوتس في تصانيفه حول الفرس والإغريق والأقوام المجاورة لهم. فالأرجح أن الشيخ الطاهر بن عاشور نقل هذا التأويل عن العالم البولوني كازيمرسكي. ثم نحا آخرون هذا المنحى ومنهم الدكتور عبد المجيد الشرفي الذي يراها تعريبا للفظ الايطالي سطوربا مع العلم أن هذه الكلمة الايطالية حديثة بالنسبة إلى لفظ أسطورة الوارد في القرآن مما يثبت أنه كان معروفا ومتداولا عند العرب قبل الرسالة المحمدية أي في زمن لم تكن فيه اللغة الايطالية معروفة.(1)

وبالتالي يعسر إيجاد المصدر الأول للفظة "الأسطورة" لأن جميع التعريفات قائمة على افتراضات لذا فقد اقترح فنطر إرجاع اللفظ لمادة "سطر" لأنها الأقرب في الدلالة، يقول فنطر: "أقترح شخصيا إرجاع لفظ أسطورة إلى مادة سطر. ومثل هذه القضايا المتعلقة بتاريخ اللغة يثبت ضرورة وضع معجم تاريخي للسان العرب. قد يبدو دلك عسيرا ولكن بالإيمان والعزيمة يمكن إدراك الهدف مهما كانت المسافات والعقبات ويصح أن نقول ما قاله علي بن أبي طالب: هم رجال ونحن رجال"(2)

---

1. فنطر(محمد حسين)، الدين من منظور تاريخ الأديان، "التنوير" 2003-2004، (ع 6): ص 66.
2. فنطر(محمد حسين)، المرجع السابق: ص 66

وفي تتبع هذه الكلمة في المعاجم الأجنبية يجد الباحث أن المعجميين قد استعملوا ألفاظا عديدة لترجمة هذه الكلمة. وقد ظهر هذا الاختلاف من معجم لآخر حسب اللغة والمؤلف.

وفي الفرنسية ترجمت كلمة الأسطورة ب "Mythe" كما كانت الترجمة في معجم Al Kamel وهو معجم فرنسي \ عربي، الذي يلاحظ فيه اشتراك كلمة "أسطورة مع كلمات أخرى إذ ورد:

"أسطورة/خرافة، وهم، تحيل: Mythe" (1)

وهذا الأمر نفسه في "المنهل" وهو قاموس عربي \ فرنسي، حيث اشتركت الكلمات "أسطورة"، "الخرافة"، "الوهم"، "الترهة" في كلمة "Mythe" بالفرنسية (2) أما عبد السلام المسدي فقد فصل في "قاموس اللسانيات" بين الأسطورة والخرافة فقد ترجم الأولى ب "Mythe" والثانية ب "Légende" (3)

---

1. Reda, Youssef, *Al Kamel,* Librairie de Liban, Beyrouth 1989, p. 417.
2. انظر عبد النور(جبور) ومعه، المنهل، الطبعة السادسة، دار العلم للملايين 1980: ص 690.
3. انظر المسدي(عبد السلام)، قاموس اللسانيات، (دون ط) ، دار العربية للكتاب 1984: ص 202

وهذا الاختيار يرجع بالأساس لاختلاف معنى الأسطورة عن الخرافة في اللغة العربية.فالخرافة لدى ابن منظور هي" الحديث المستملح به من الكذب"(1)

وفي الانجليزية يطلق على الأسطورة والخرافة نفس الكلمة وهي "Myth" (2)

كما يمكن أن تترجم الكلمتان ب "Legend" (3)

وفي آخر هذا المبحث يبدو أن إيجاد تعريف موحد لكلمة "أسطورة" عمل شاق بالنسبة للغويين، فما هو مدلول "الأسطورة" في الاصطلاح؟

.——

1. ابن منظور(محمد)، المرجع السابق: ص 818.
2. البعلبكي(منير)، المورد الوسيط، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين 1980: ص 391.
3. البعلبكي(منير)، المرجع نفسه: ص 339.

- **التعريف الاصطلاحي:**

إن أول سؤال يخطر ببال من اطلع على تعريفات أهل اللغة لمادة "سطر"هو هل يوجد تعريف واحد لها ؟ لقد قدم إلياد مرسيا تعريفا وهو "تروي الأسطورة تاريخا مقدسا، وتخبر عن حدث وقع في الزمن الأول زمن البدايات العجيب" (1)

هذا التعريف رغم حله لبعض التعقيدات فانه يبقى تعريفا شاملا. فالأساطير تصف الحالات المختلفة لبروز المقدس وتتحدث عن أفعال الكائنات الخارقة وعن تجليات قدرتها المقدسة لهذا باتت النموذج المثالي لمجمل الأنشطة الإنسانية.

وعند التطرق إلى أهم الألفاظ التي تتعلق بها نجد : المقدس، الزمن الأول، الغير الطبيعي، الحكايات، الأشعار، الدين، الفلسفة، الخرافة، الأنثروبوجيا.

الأسطورة والدين

يعرف محمد الخطيب الدين ب"الرباط الأساسي الذي يربط بين الناس، وهو رباط الانتماء"(2)، فالدين يجمع بين مجموعة من الأفراد يشعرون بعاطفة الانتساب إلى قوى تتحكم في مصائر البشر. وعادة ما تكون قوى غيبية . إضافة إلى ذلك تطغى ميزة القدسية على مختلف الظواهر الدينية والتي منها الأساطير

---

1. إلياد (مرسيا)،ملامح الأسطورة(ترجمة حسيب كاسوحة)، (دون ط)، دمشق 1995: ص11.
2. الخطيب(محمد)، الأثنولوجيا، الطبعة الأولى، دار علاء الدين 2000 : ص135.

وأما دوركهايم (1858-1917) فيعتبر الدين وحدة اجتماعية متكاملة تربط بين مجموعة من الأجزاء كالأساطير و العقائد و الشعائر(1) أما هربرت سبينسر فهو يرى أن الدين منشؤه من عبادة السلف أي قيامه على معتقدات الأجداد (2)

و من خلال هذه التعريفات يمكن القول بأن الأساطير ترتبط ارتباطا وثيقا بكل ما هو ديني. يقول فراس السواح "ترتبط الأسطورة بنظام ديني معين وتعمل على توضيح معتقداته و تدخل في صلب طقوسه وهي تفقد كل مقوماتها كأسطورة إذا انهار هذا النظام الديني وتحول إلى حكاية دنيوية تنتمي إلى نوع آخر من الأنواع الشبيهة بالأسطورة" (3)

ومن أهم مقومات الأسطورة أن تكون مقدسة إذ يقول السواح "إن الأسطورة هي حكاية مقدسة ذات مضمون عميق تشف عن معاني ذات صلة بالكون والوجود و حياة الإنسان" (4) و يضيف أنها"حكاية مقدسة يلعب أدوارها الآلهة وأنصاف الآلهة"(5)

---

1. لووي(روبرت)، تاريخ الإتنولوجيا، (*ترجمة جاهل(نظير)*)، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر 1992: ص170.
2. *Baum, Gregory, « Définition de la religion en sociologie »,* Concilium *156 (1980), p. 46.*
3. السواح(فراس)، الأسطورة والمعنى، دار علاء الدين، الطبعة الثانية 2001: ص14.
4. السواح(فراس)، الأسطورة والمعنى: ص14.
5. السواح(فراس)، مغامرة العقل الأولى، دار علاء الدين، الطبعة الثالثة عشر 2002: ص19.

كما أن لفظة الأسطورة في اللغة العربية مقترنة بالتصورات الدينية والاعتقادية حيث يقول الله تعالى في القرآن الكريم «إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين» (1)

وهكذا فعلاقة الأسطورة بالدين علاقة ترابطية لا ينفصل الواحد فيها عن الثاني بأي شكل من الأشكال مما يجعل الباحث في الأسطورة باحثا في الحقل الديني بل ملازما له.

الأسطورة والفلسفة

يمثل مفهوم الفلسفة مشكلا عويصا يتعرض له كل باحث, حيث تتعدد تعريفات الفلاسفة لها.ولعل من أبرز تلك التعريفات"الفلسفة معرفة الموجودات بما هي به موجودة"(2) كما تتكاثر المصطلحات التي تتعلق بالفلسفة ومن أهمها الحكمة والرمزية والمنطق. وقد ورد في موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب أن "الحكمة معرفة الوجود الحق, والوجود الحق هو واجب الوجود بذاته, والحكيم هو من عنده علم الواجب بذاته بالكمال وهو ما سوى لذاته ففي وجوده نقصان عن درجة الأول بحسبه، فإذن يكون ناقص الإدراك فلا حكيم إلا الأول، لأنه كامل المعرفة بذاته"(3)

---

1. المطففين/13.
2. عجينة(محمد), موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها, الطبعة الأولى, دار الفارابي (دون تاريخ) :ص57.
3. جهامي(جرار) ومعه, موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب, الطبعة الأولى, مكتبة لبنان ناشرون 1998: ص289.

أما الرمزية فقد امتدت إلى مجال الفلسفة منذ أن كانت متعلقة أساسا بالأدب."على الرغم من أن الرمزية قد ارتبطت أساسا بفنون الأدب و مدارسه باعتبارها نهجا في التعبير ورؤية فنية للواقع إلا أنها قد امتدت إلى مجال الفلسفة أيضا لتصبح مجالا من مجالات التفلسف وأداة للتعبير عن فكر الفيلسوف ومحاولة نحو تكوين رؤية شاملة للواقع بل ووسيلة جوهرية نحو اقتحام الواقع ككل و بذلك لم تقتصر الرمزية على الفن بل تعدته إلى العديد من مجالات التفلسف كالعلم و الأسطورة و التجربة الدينية و المعرفة التاريخية و الميتافيزيقية"(1)

أما المنطق فقد ورد في "موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب" أن هذه اللفظة"تدل عند القدماء على ثلاثة أشياء على القوة التي يعقل بها الإنسان المعقولات، وهي التي تحاز العلوم والصناعات بها، وبها يميز بين الجميل والقبيح من الأفعال والثانية المعقولات الحاصلة في نفس الإنسان بالفهم ويسمونها النطق والثالثة العبارات باللسان عن ما في الضمير ويسمونها النطق الخارج"(2)

إن مميزات الفكر الأسطوري تشابه مميزات الفكر الفلسفي المذكورة سابقا.حيث يؤكد محمد عجينة على أنه "لا وجود حسب الفلاسفة لحد فاصل فصلا مطلقا

---

1. جهامي(جرار) ومعه, موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب, الطبعة الأولى, مكتبة لبنان ناشرون 1996:ص624 .
2. جهامي(جرار), المرجع نفسه :ص1013.

بين الوعي النظري والوعي الأسطوري باعتبار أن الوعي الأسطوري القائم على ما هو مباشر أو حدسي هو برهة في المسار المؤدي إلى الوعي الموضوعي أو القائم على التجربة العلمية والى التفكير بواسطة المفاهيم المجردة."(1) ويبدو من خلال كلام عجينة أن علاقة الأسطورة بالفلسفة لا توافق النظرية السائدة التي تعتبر أن الفكر الأسطوري مناقض تماما للفكر الفلسفي. ويتجسد هذا الأمر من خلال ما أكد عليه محمد عجينة حين قال بأن" الفكر الأسطوري يقوم على صعيد لا شعوري بما يقوم به المنطق و الحكمة بصفة شعورية أي بإرساء الدلالة و جعل التواصل بين البشر ممكنا"(2) فالأسطورة لها منطقها الخاص، وهي ليس مجرد رواية عادية أو قصة موجودة لغاية التسلية بل لها أبعاد فلسفية أكبر من مجرد النشوة الذهنية. وقد نفى ألكسي لوسيف عن الأسطورة أن تكون بدعة أو وهما ولكنها مقولة منطقية كما نفى عنها أن تكون وجودا مثاليا بل هي واقع محسوس حياتيا ونفى عنها أن تكون بنية علمية بل هي بنية متضمنة كل حقيقة لا علمية ولا أن تكون ذات بنية ميتافيزيقية بل هي واقع حياتي ولا أن تكون نتاجا شعريا وهذا يعطي للأسطورة الرمزية والحياة والمعطى الثقافي والجدلية (3)

---

1. عجينة (محمد)، المرجع السابق: ص58.
2. عجينة(محمد), المرجع نفسه: ص60.
3. لوسيف(ألكسي), فلسفة الأسطورة *(ترجمة منذر حلوم)*, الطبعة الأولى, دار الحوار للنشروالتوزيع 2000: ص129.

وقد بين ألكسي ذلك البعد الفلسفي للأسطورة عند قوله"إن الأسطورة ثقافية الحياة معطاة رمزيا"(1) وأما دوران فيعتبر الأسطورة امتداد للأنساق و الأنموذجات و الرموز البسيطة وذلك من خلال قوله"و الأسطورة هي بداية تعقلن لأنها تستخدم سياق الرواية الذي تتحول فيه الرموز إلى كلمات والأنموذجات إلى أفكار وهي توضيح لنسق أو لمجموعة من الأنساق"(2)

وهذا القول الذي يحيل إلى مفهوم التعقل والعقلانية يجعل من الأسطورة أبعد ما يكون عن مجرد الوهم والخيال، يقول ألسكي "الأسطورة ليس اختلاقا إنما هي تتضمن بنية بالغة الصرامة والتحديد وبالتالي فهي منطقيا وقبل ذلك جدليا مقولة ضرورية للإدراك وللوجود عموما"(3)

هذه النظرة التي تربط بين الفكر الأسطوري والفكر العقلي تقابلها نظرة أخرى تفرق بين كلا الأمرين. يقول محمد عجينة"وتفسر بعض المواقف المناهضة للأساطير، أن الأساطير تبدو متناقضة والمعرفة العلمية والفكر الموضوعي متنافية وإياهما" (4)

---

1. لوسيف(ألكسي), المرجع نفسه:ص131.
2. دوران(جلبير), الأنثروبولوجيا:رموزها أساطيرها أنساقها, *(ترجمة مصباح الصمد)*, الطبعة الثالثة, المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع 2006: ص39.
3. لوسيف(ألكسي), المرجع السابق: ص43.
4. عجينة(محمد), المرجع السابق: ص58..

ويجسد هذه النظرة الأخيرة الفلاسفة العقلانيون(ديكارت) و الفلاسفة الوضعيون(كونت) الذين حكموا على المخيلة واعتبروها سيدة الخطأ والضلال(5)

كما أن هذه النظرة قد أعادت طرح المقابلة القديمة بين الميثوس واللوغوس على أسس جديدة وعلى ضوء المستجدات الجديدة في العلوم الإنسانية، فاللوغوس الذي يعتبره اليونانيون النموذج المنطقي والعلمي في التفكير يختلف كليا عن التفكير الأسطوري، وفي هذا الشأن يتنزل قول دوران"هذا ما تبينه بوضوح أعمال أفلاطون حيث تبدو لنا الفكرة العقلانية وكأنها تستفيق من حلم أسطوري وتأسف عليه أحيانا"(1)

وهذه الفكرة المناهضة للأسطورة يمكن الرد عليها من خلال النظرة الأفلاطونية ذاتها التي ترفض في ظاهرها الفكر الأسطوري حيث أن المثل العليا لا يمكن أن تكتشف عبر الأسطورة بل من خلال العقل، تقول كارين أرمسترونغ "وحين يكتب أفلاطون عن النفس، على سبيل المثال، يعود إلى الأسطورة الشرقية القديمة الخاصة بالتقمص. ويؤكد أرسطو على أنه فيما كانت بعض الأساطير حول الآلهة سخيفة بنحو جلي، فان أساس هذا التراث القائل بأن كل الجواهر الأولى كانت آلهة هو في الحقيقة الهي(2)

---

1. عجينة(محمد), المرجع نفسه: ص68
2. دوران(جلبير), المرجع السابق: ص39.

.

وهذا القول يدل على أن اللوغوس وان كان يعارض الميثولوجيا فانه كان يعتبرها رائدة الفكر العقلي. إن اعتبار الأسطورة والفلسفة يرتبطان بشكل أو بآخر يشرع للتحليل النفسي البحث عن قيمة الوعي الأسطوري.

الأسطورة و التحليل النفسي

إن البحث في هذه المسألة يتجلى من خلال علاقة الرمزي والخيالي بالتحليل النفسي. و قد ورد تعريف الرمزي في "معجم مصطلحات التحليل النفسي" فارتبط الرمزي بالظواهر التي يتعامل معها التحليل النفسي، وجاء في التعريف"يدل الرمزي على نظام الظواهر التي يتعامل معها التحليل النفسي باعتبارها مبنية كلغة."(1)

و يرجعنا هذا المصطلح أيضا إلى المقاربة العلاجية من خلال الفكرة القائلة بأن فعالية العلاج تجد قوتها الدافعة في الطابع المؤسس للكلام. فالرمزية نظام استعمله فرويد في تأويل الأحلام ، يقول لابلانش"نجد كلمة رمزي بصيغة الاسم عند فرويد في "تأويل الأحلام"عام1900 حيث يتكلم على سبيل المثال عن الرمزية، قاصدا بذلك مجمل الرموز ذات المعنى الثابت التي يمكن الوقوع عليها في مختلف أشكال الإنتاج اللاواعي"(2)

---

1. لابلانش (جان), معجم مصطلحات التحليل النفس, *(ترجمة مصطفى حجازي)*, الطبعة الثالثة ,المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع 1997: ص266.
2. لابلانش(جان),المرجع نفسه :ص266.

أما بالنسبة للخيالي فقد ورد تعريفه في المعجم النفسي على أنه يمثل العلاقة مع صورة الآخر الشبيه أي الأنا الصغير "على أن الاستخدام الخاص جدا لمصطلح الخيالي الذي يتبناه لاكان ليس منقطع الصلة عن المعنى المتداول فكل سلوك وكل علاقة خيالية محكوم عليهما تبعا للاكان بالتحول إلى نوع من الوهم الخادع"(1 و تكشف نظريات فرويد حول الجانب اللاشعوري في الإنسان عن أهمية الرمز كما أن الأساطير بأبعادها الرمزية تصور الرغبة الجنسية الملحة للإنسان. يقول فراس السواح " اجتذبت الأسطورة فرويد، كما اجتذبت الكثير من أتباعه فيما بعد.وفي كتابه ذاك، الذي نشر لأول مرة عام 1905 يرى فرويد تشابها في آلية العمل بين الحلم والأسطورة وتشابه الرموز لكليهما فهما نتاج العمليات النفسية اللاشعورية" (2) وحتى فيصل عباس من خلال دراسته للمنهج الفرويدي في التحليل النفسي يعتبر أن"الخصائص النفسية والطبائع والذكريات والأفكار والنزعات الجنسية الطفلية، والازدواجية الوجدانية التي فطر عليها الإنسان، منذ العصور القديمة، أن كل هذا الميراث العقلي قد تم توارثه من جيل إلى جيل وهو مختزن في أعمال لا وعي الإنسان"(3)

---

1. لابلانش(جان)، المرجع السابق : ص241.
2. السواح(فراس)،المرجع السابق: ص16.
3. عباس(فيصل)، التحليل النفسي وقضايا الإنسان والحضارة، الطبعة الأولى، دار الفكر اللبناني 1991: ص62

وبالتالي فإن الأساطير تمثل عند فرويد من خلال الرموز مجرد أعراض مرضية و مكبوتات فردية ورغبات شبقية يسعى المرء إلى تحصيلها.أما غوستاف يونغ وهو تلميذ فرويد فيعتبر الأسطورة تجسيدا للاوعي الجماعي وذلك من خلال رموزها.(1)

فالرموز توجد في الأحلام وفي الأساطير وتكون معبرة عن ثقافة معلومة لمجموعة من البشر.فتكون الأساطير شأنها شأن الأحلام وسائر المبدعات الخيالية الأخرى بدور مهم وهو ما عبر عنه عجينة بـ"دور الوسيط الملائم بين الطبيعة والثقافة"(2)

وعند البحث في كيفية فهم فرويد للأسطورة يمكن القول بأنه قد فتح باب التفسير النفسي للأحداث الأسطورية.وفي هذا السياق تندرج شهادة فراس السواح عن منهج فرويد" يبدو فرويد مقتنعا تماما أنه في فترة مبكرة من تاريخ الإنسانية قد وقعت أحداث الدرام الأوديبي بشكل حقيقي عندما تعاون الأولاد على قتل أبيهم في القبيل الابتدائي في صراع كان دافعه الحصول على زوجات الأب"(3)

ففرويد حين تطرق إلى تفسير أسطورة" برومثيوس" حين قيد بالسلاسل لينهش

---

1. عجينة(محمد)، المرجع السابق: ص52.
2. عجينة(محمد)، المرجع نفسه: ص54.
3. السواح(فراس)، المرجع السابق: ص16.

النسر من كبده بأنه انتقام لما تعانيه النزوات والرغبات الجنسية الجامحة من الكبت المتزايد "والواقع أن الإنسان البدائي لم يكن يستطيع إلا النظر كشيء مماثل لعاطفة الحب أو الرمز للبيدو . إن الدفء الذي تبعثه النار يثير النوع نفسه من التوهج الذي يصاحب حالة الإثارة الجنسية ويوحي شكل اللهب وحركته بالقضيب في لحظة العمل الجنسي."(1)

وهذا التحليل يتواصل عند تبيين علاقة الانسان البدائي بأسطورة "برومثيوس" حيث يقول فيصل عباس"يفترض فرويد أن الأشياء حدثت كما لو أن الإنسان البدائي قد اعتاد, في كل مرة كان يجد نفسه فيها في مواجهة النار أن يشبع, بتلك المناسبة رغبة طفليه: الرغبة في إخمادها بسيل من البول. ومما لا شك فيه أن ألسنة اللهب التي ترتفع في الأجواء كأنها ألسنة كانت تولد لدى الإنسان احساسا قضيبيا"(2)

وهكذا يجعل أهل التحليل النفسي الأسطورة قريبة من الحلم فيوحدون بذلك بين جانب الفردي والجانب الجماعي. فكيف تناول علماء الأنثروبولوجيا الأساطير؟

---

1. عباس(فيصل), المرجع السابق: ص.54
2. عباس(فيصل), المرجع السابق: ص52.

الأسطورة و الأنتروبولوجيا

تكشف الأنتروبولوجيا عن المسار الطويل والشاق الذي أوصل الإنسان إلى وضع نفسه موضع البحث كما أنها تعتبر تاريخ وعي الإنسان لاختلاف تكون الإنسان في المدى وفي الزمن. يقول عيادة كنافي و ادوارد القش "إنما إذا أخذنا مؤشر تعمد بعض العلماء الدراسة الحقلية للمجتمعات المفارقة ترى أن الأنثروبولوجيا ولدت ونشأت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.فالأبحاث الحقلية في الأنثروبولوجيا حديثة إذا ما اعتبرنا أن التفتيش الفعلي لم يتسلح بجهاز منهجي إلا حديثا"(2) .وهذا المنهج الحديث يتمثل في دراسة ميدانية للمجتمعات ومنها المجتمعات البدائية حيث يعتبر جيمس فريزر صاحب كتاب "الغصن الذهبي" بأن الأسطورة نشأت علما بدائيا يهدف إلى تفسير الحياة والطبيعة والإنسان وأنها متأخرة عن الطقوس. وقد ذهب تيلور*(1832 -1917)* إلى أن العقل الإنساني يتصف بالسلامة حتى لدى الإنسان البدائي رغم افتقاره إلى الخبرة والتجربة(2) أما لفي برول(1857-1939) فينادي بالقطيعة الفكرية والذهنية بين الأوروبيين والبدائيين وأنه من العبث البحث عن مقياس مشترك بين العقلية البدائية والعقلية الأوروبية.

---

1. كنافي(عيادة)ومعه,الموسوعة الفلسفية العربية,(رئيس التحرير معن زيادة), الطبعة الأولى, المعهد الإنماء العربي 1987: 121/1.
2. عجينة(محمد), المرجع السابق : ص42,

وأما مالينوفسكي*(1884-1942)* فقد اقتصر في تفسيره للأسطورة على وظيفتها لا غير ويعتبر أن دورها ليس تفسير الظواهر الطبيعية أو الإجابة عن فضول علمي أوغيره بقدر ما يتمثل في إرساء دعائم المعتقدات والممارسات التي تشكل أسس التنظيم الاجتماعي(1)

وقد بين فراس السواح هذه النظرية"يقول مالنوفسكي إن الأسطورة لم تظهر استجابة لدافع المعرفة والبحث ولا علاقة لها بالطقس والبواعث النفسية الكامنة بل هي تنتمي للعالم الواقعي وتهدف إلى تحقيق نهاية عملية فهي تروى لترسيخ عادات قبلية معينة أو لتدعيم سيطرة عشيرة ما أو أسرة أو نظام اجتماعي وما إلى ذلك فهي والحالة هذه عملية في منشأها وغايتها"(2)

بذلك سار الأنثروبولوجيون في اتجاهات متعددة في بحثهم في مقدرة البدائيين العقلية.غير أنهم جعلوا الأساطير "مفتاح المجتمعات القديمة" وحجر الزاوية" والأفق الضروري " لجميع الظواهر الثقافية ولجميع أشكال التنظيم الاجتماعي (3) وهذا الاعتبار يظهر بوضوح في أعمال فريزر الذي يعرف الميثولوجيا على أنها فلسفة الإنسان الأول. بل يجعل من الأسطورة المحاولة الأولى للإنسان للإجابة عن أسئلة تخص العالم والوجود (4)

---

1. السواح(فراس),المرجع السابق: ص15
2. .السواح(فراس)، المرجع السابق: ص16
3. عجينة(محمد), المرجع السابق: ص42.
4. *Frazer, James,* Mythe sur l'origine de feu, *traduit par Michel Drucker,Payot, Paris 1991, coll. «Petite bibliothèque Payot», p. 5.*

وفي هذا الإطار يتجلى تعريف الأسطورة في موسوعة الأديان السماوية والوضعية "فالأسطورة حكاية مقدسة بمعنى أنها تنتقل من جيل إلى جيل بالرواية الشفهية، مما يجعلها ذاكرة الجامعة التي تحفظ قيمها وعاداتها وطقوسها وحكمتها وتنقلها للأجيال المتعاقبة وتكسبها القوة المسيطرة على النفوس وتجيء الكتابة لتلعب دور الحافظ للأسطورة من التحريف بالتناقل" (1)

و ينحو مرسيا إلياد المنحى القائل بأهمية معرفة الأسطورة, فبمعرفة الأساطير يمكن معرفة أصول الأشياء ثم الوصول إلى التحكم في الرغبات (2)

أما كلود ليفي ستروس فقد درس الأسطورة من الناحية البنيوية اللغوية أو ما عبر عنه ب"السيستامات" وقد سمى منهجه ذاك ب"الأنتروبولوجيا البنيوية",فوصل بذلك إلى تعريف الأسطورة من خلال علاقتها باللغة من حيث خصائصها و مميزاتها

و بذلك تناول علماء الأنتروبولوجيا الأسطورة من جميع الجوانب و بجميع الوسائل وان اختلفوا في مناهج بحثهم فقد وصلوا إلى نتائج تحدد علاقة الجنس البشري بمحيطه.

---

1. نعمة(حسن), موسوعة الأديان السماوية والوضعية(ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة), الطبعة الأولى, دار الفكر اللبناني 1994: 25/1

2. *Eliade, Mircea,* Aspects de mythe, *Gallimard, Paris 1963, coll.« Idées », p. 3*

لقد مثل تعريف الأسطورة إشكالا كبيرا بالنسبة للعلماء. فقد تناوله الفلاسفة بشكل و تناوله النفسانيون بشكل آخر إضافة إلى تعريفات علماء الاناسة و الدين.

يقول فراس السواح"ولا أريد في هذه العجالة أن أتقدم برؤية أحادية فانا أؤمن بتعدد المستويات لفهم الأسطورة فقد تحتوي بعض أساطير الخلق على عناصر نفسانية كثيرة، وقد تحوي بعض الأساطير الأخلاقية عناصر تاريخية كأسطورة الطوفان البابلية وأسطورة جلجامش.كما أننا نلمح تأثيرا كبيرا لنمط الإنتاج الاقتصادي على مضمون وصياغة الأسطورة "(1)

---

1. السواح(فراس), المرجع السابق: ص25.

المبحث الثاني:التاريخية

- الأسطورة في العصور الأولى:

إن التعريفات التي قدمت حول الأسطورة جعلتها تتحمل أن تكون نشأتها منذ العهد الأول للإنسان في الأرض. كما إن اكتشاف القبور النياندرتالية* في سنة 1856 في وادي النياندرتالية بألمانيا جعل العديد من الذين ينتمون إلى ميدان الأنتروبولوجيا و الميثولوجيا يجزمون بعمق الأسطورة في التاريخ البشري.

وتؤكد القبور النياندرتالية على أن الأساطير جزء لا يتجزأ من التراث الإنساني وبخصوصيات الإنسان وخاصة الجانب الديني، وتعتبر كارين أرمسترونغ "أن الميثولوجيا غير قابلة للفصل عما هو طقسي. و لا معنى لكثير من الأساطير خارج شعيرة طقسية إلى الحياة . و هذه الشعيرة غير قابلة للفهم على خلفية دنيوية"[1](1).

وهذا القول يبين أن الأسطورة كانت مغرقة في القدم لأنها وببساطة اقترنت بالجانب العقدي للإنسان الذي كان يبحث عن إله يعبده وعن مصدر وجوده، فكان عليه بالضرورة أن يتجه إلى الأسطورة التي هي الواسطة بين ذلك الجانب الغيبي الذي يخرج عن الإطار الإنساني والجانب المادي النسبي.

[1] أرمسترونغ(كارين), المرجع السابق: ص7.

* القبور النياندرتالية:منسوبة إلى وادي النياندرتال في ألمانيا حيث وجدت بقايا الإنسان النياندرتالي وهو إنسان قبتّاريخي وجدت بقايا هيكله العظمي في وادي النياندرتال على مقربة من مدينة دوسلدورف في ألمانيا وهو يتميز بفكّيه البارزين وعنقه القصير الضخم وكان دماغه أكبر من دماغ الإنسان .

كما أن الأسطورة لا ترتبط بالجانب العقدي فحسب بل بالرغبة الفطرية في الإنسان وهو الخلود, وهو ما تبينه أساطير الخلود مثل جلجامش*, هذه الأساطير التي يصارع فيها الإنسان الموت بكل أشكاله من حيوانات و أوبئة و كوارث طبيعية وغير ذلك من أخطار. تقول كارين أرمسترونغ " نشأت الأسطورة النياندرتالية بطريقة ما إلى جانب قبر ، و ظهرت أقوى الأساطير في أوقات الشدة كي تتحمل البشر على تخطي تجاربهم ثمة لحظات يجد فيها الجميع أنفسهم بطريقة أو بأخرى مضطرين إلى الذهاب إلى مكان لم يروه مطلقا، أو إلى فعل ما لم يفعلوه بتاتا . فالأسطورة

تدور حول المجهول: إنها عن ذلك الذي لا نمتلك في البداية كلمات حوله. و عليه فان الأسطورة نشأت وسط صمت كبير"(1)

فالأسطورة لها علاقة بالجانب الطقسي في الإنسان والجانب الفطري الذي يطمح من خلاله البشر في الوصول إلى قطع مرحلة الموت التي هي مصير البشر جميعا .

ومن هنا يتجلى حضور الآلهة في حياة الإنسان الأول حيث تقول كارين" ، في هذا العالم الذي سيعقبه تتحدث الميثولوجيا أخيرا عن وجود عالم آخر إلى جانب عالمنا و يدعم عالمنا و الإنسان بهذا الواقع اللامرئي و الأكثر جبروتا و الذي يدعى أحيانا عالم الآلهة ، هو موضوع أساسي للميثولوجيا"(2)

---

*جلجامش: هو شخصية تاريخية عاشت في حوالي 2600.ق.م. ورد في الوثائق أنه الملك الخامس لأوروك في جنوب بلاد ما بين النهرين. وتحول إلى شخصية أسطورية صارعت من أجل الخلود.

1. أرمسترونغ(كارين), المرجع السابق: ص7.
2. أرمسترونغ(كارين), المرجع نفسه: ص8 .

قد نشأت الأسطورة بالتالي في وقت مبكر لأنها ترتبط بالإنسان الذي هو من ابتكرها و أنشأها فهي مرتبطة بوجوده وعدم.

فهذه القبور النياندرتالية بما تحويه من أسلحة و أدوات وعظام حيوانات ضحي بها تبرز إن علاقة الإنسان بالأساطير علاقة قديمة من خلال التفكير الأسطوري القائم على الخيال. فمحتويات القبور تأكد أن الإنسان القديم كان يعتقد بوجود عوالم أخرى تتجاوز عالمه المادي.

تتطور علاقة الإنسان بالأساطير من عصر لآخر ويعود ذلك إلى طبيعة البيئة التي يعيش فيها ذلك الإنسان. فكيف كانت علاقة الإنسان الحجري بالأسطورة ؟

- العصور الحجرية :

وتنقسم هذه العصور إلى العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث. فكان العصر الأول عصر الاعتماد الكلي على الصيد إذ لم يتم بعد اكتشاف الزراعة التي هي ميزة العصر الحجري الحديث.لكن العصر الأول هو عصر مهم في حياة الإنسانية فقد وصل فيه العنصر البشري إلى أنضج المراحل البيولوجية وهذا العصر يمتد تاريخيا بين حوالي 20000الى8000 قبل الميلاد.

وقد كان البشر يستخدمون الأدوات الخشنة و المهذبة على نحو بدائي و عملية الصيد بدورها كانت صعبة جدا فقد كان الصيادون يغادرون قبيلتهم أياما عديدة أحيانا متخلين عن أمان كهوفهم ومجازفين بحياتهم كي يعودوا بالطعام إلى أقوامهم. لذا وجد الشامان* كي يبارك في هذه العملية بإقامة علاقة مع الأرواح للتأثير عليها

---

*الشامان: هو اسم يطلق على السحرة في آسية الغربية والوسطى وفي الأورال وجبل الألتالي. يقوم الشامان بمجموعة من الأعمال السحرية فهو يزعم أنه يقيم علاقة مع الأرواح ويمكنه التأثير عليها.

و قد عثر في المعابد الكهفية التي تعود إلى العصر الحجري القديم في لاسكو في فرنسا و ألتاميرا في اسبانيا على الرسوم تصور رحلات الصيد حيث يظهر إلى جانب الحيوانات و الصيادين رجال يرتدون أقنعة طيور توحي بالطيران ربما كانوا كهنة.(1)

كما أن هذه العملية تتجمع فيها كل الخصائص التي تجعل من وجود الأساطير في هذا العصر أمرا ممكن حتما بل أصبح أمرا يتطور تدريجيا.

والباحث في ميثولوجيا الصيادين يلاحظ وجود عالم الأجداد و الأرواح و عالم الآلهة .

كما أن الصياد يقوم بعديد الطقوس قبل الخروج و بعد العودة من الصيد.

والأسطورة والطقس مترابطا فوجود طقس معين يفترض وجود أسطورة معينة.

و من أهم الأساطير التي تعود لهذا العصر أسطورة البطل الإغريقي هرقل* الذي نجده في الأدب بشكل كبير.

فالأسطورة في هذا الزمن بدأت تأخذ مكانها من الموروث الإنساني بشكل واضح.

---

1. أرمسترونغ(كارين), المرجع السابق: ص25.

*هرقل: هو شخصية إغريقية وهو الأثر المتبقي من عصر الصيد لأن ألبسته من جلد الحيوانات مثل رجال الكهوف وهو مشهور ببراعته و زيارته العالم السفلي و يصعد إلى مملكة الآلهة.

لقد ساهمت القصص الأسطورية في خروج الإنسان من عصر الصيد إلى عصر آخر وهو عصر الزراعة الذي يمتد من 8000 إلى 4000 ق.م. حيث عرف الإنسان أن الأرض مهمة جدا في حياته لكن سرعان ما اكتشف أنها بدورها معركة مستمرة و صراع ضد القحط و الجفاف و المجاعة ومن هنا ظهر عالم الآلهة ذلك العالم المقدس الذي تحوم حوله الأساطير العجيبة هذا العالم بالأرض.

وتتنزل أساطير عدة دارت في هذا الإطار, إذ تقول كارين أرمسترونغ " ورد كل هذا في الأساطير التي دارت حول الإلهة الأم, التي كان أزواجها يمزقون إربا, وتقطع أعضاؤهم, ويعذبون بوحشية, ويقتلون قبل أن يتمكنوا من النهوض ثانية, مع نمو المحاصيل, وتفتح حياة جديدة."(1)

ومن أبرز الأساطير في هذا المجال أسطورة أنات و بعل* الذي كان يهيئ المطر إلى الأرض الظمأى فهاجمه ذات مرة الإله موت**, الذي كان يهدد دوما بتحويل الأرض إلى برية مهجورة, فاستسلم بعل بلا مقاومة, وأجبره على النزول إلى العالم السفلي أرض الموتى. مما أدى إلى انتقام أنات من الإله موت انتقاما شديدا.(2)

---

1. أرمسترونغ(كارين), المرجع السابق: ص44.

*أسطورة أنات وبعل: هي أسطورة سورية قديمة, كانت فيها أنات إله العاصفة, وهي أخت بعل وزوجته.

**الإله موت: هو إله الفناء وهو في الأسطورة السورية يمثل الجانب الشرير الذي عندما تجده أنات تشقه نصفين

2. انظر أرمسترونغ(كارين), المرجع السابق: ص46.

إذن, برزت ثنائية الحياة و الموت بشكل كبير في عصر الزراعة و أخذت الأسطورة تمثل الواقع أكثر خاصة من خلال تلك المعاني التي تختص بها التربة و النبات و المطر و البذر. تقول كارين أرمسترونغ" كانت الزراعة معركة مستمرة, وصراعا يائسا ضد القحط والجفاف والمجاعة وضد قوى الطبيعة العنيفة, التي كانت أيضا تجليات لقوة مقدسة"(1)

إذن, فبعد اكتشاف هذا العالم الجديد المقدس وهو الأرض تسير الأسطورة في نمو و تطور نحو محيط جديد.

- الأسطورة في الحضارات الأولى:

لقد مر الإنسان بمراحل عديدة في تطوره وقد أخذت الأسطورة مكانا واسعا في هذه المراحل وقد تدعمت بنشوء الحضارة أي عند بناء المدن و تمتد هذه الفترة من حوالي 4000 إلى 800 ق.م.

و تميزت هذه الفترة بتطور الوعي الذاتي وصار بوسع البشر التعبير دوما عن تطلعاتهم في الفنون المتحضرة و أظهر اختراع الكتابة بأنهم قادرون على إبداع تعبير أدبي متطور لأساطيرهم, تقول أرمسترونغ " رصدت الأساطير المدينية الأولى الصراع الأدبي بين النظام و الفوضى بمزيج من الخوف و الأمل"(2)

و بدأت ثنائيات جديدة تستظهر في هذا العصر وهي مواصلة للثنائيات القديمة أو هي نفسها لكنها بشكل جديد ومتحضر فالبناء و الدمار في هذا العصر هو الحياة و الموت في العصور السابقة.

1.أرمسترونغ(كارين), المرجع السابق: ص44.

2.أرمسترونغ(كارين), المرجع نفسه: ص54.

ويعود بقاء هذه الفكرة إلى الأساطير التي ولأن تشابهت في أمور فإنها اختلفت عن سابقتها في أمور عديدة. و عنصر الآلهة من العناصر التي تغيرت في هذه الحضارات. وتؤكد أرمسترونغ على هذا الأمر فتقول " ففي تلك الحضارات الأولى, يزدادون وعيا عما كانوا عليه سابقا بأنهم أسياد. بالتالي, ولهذا لم يعد بوسعهم النظر إلى الآلهة بالطريقة نفسها التي كان ينظر إليها أسلافهم."(1)

وتبين الأساطير بداية تغييب الآلهة عن الحياة المادية الخاصة بعالم البشر.
و بدأ انسحاب الآلهة لكن بقي قيمتها لا تزال حاضرة في داخل سكان تلك الفترة.
وفي هذا الإطار تقول كارين " لكن سكان بلاد ما بين النهرين لم يكونوا مثلنا تماما ربما انسحبت الآلهة من حياتهم, ولكنهم ظلوا يشعرون بعمق بحضور الجانب السامي داخل أعمالهم اليومية."(2)

- العصر المحوري:

في هذا العصر شهد الإنسان تحولا كبيرا في المستوى الروحي فقد ظهرت أديان و أنساق فلسفية جديدة* وقد انطلق هذا العصر من حوالي 800 ق.م.
و أخذت السلطة تنتقل من الكهنة إلى التجار فسارعت بذلك جميع الحركات المحورية** إلى البحث عن دين أكثر روحية و لا يعتمد عن طقوس و شعائر شكلية كثيرة.

---

1. أرمسترونغ(كارين), المرجع السابق: ص57.
2. أرمسترونغ(كارين), المرجع نفسه: ص58.

*الأنساق الفلسفية: كالكنفوشيوسية والبوذية و الهندوسية والعقلانية.

**الحركات المحورية: شددت هذه الحركات جميعها على ضرورة وجود دين أكثر روحانية ر الممارسات الشكلية.وارتبطت نظريات هذه الحركات بحكماء وفلاسفة مثل كونفوشيوس في الصين, أفلاطون و سقراط في اليونان, وبوذا في الهند.

و كانت هذه الحركات تنظر إلى الأساطير من منظور نقدي و أخذت تشك في كل شيء و منها ميثولوجيا القديمة . تقول أرمسترونغ"حين أمنعت الحركات المحورية نظرها في الأساطير القديمة, اتخذ كل منها موقفا مختلفا قليلا تجاهها"(1)

ويعود هذا التحول في التعامل مع الأسطورة إلى تحول نظرة الإنسان للآلهة. فإن كان البابليون قد ساروا في تغييب الآلهة من حياتهم بشكل طفيف, فإن أهل هذا العصر المحوري قد غيبوا الآلهة بشكل واضح. تقول أرمسترونغ " كان الناس في البلدان المحورية ما يزالون يتوقون إلى السمو, ولكن المقدس بدا لهم بعيدا, وغريبا أيضا."(2)

لقد أصبح عالم الآلهة بعيدا عن العالم البشري مما أدى إلى تغييب المقدس شيئا فشيئا إذا أصبح شيئا بعيدا أو غريبا و يتجلى هذا الأمر من خلال نظرية الفلاسفة اليونان فأرسطو(427–347 ق.م.) يعتبر أن الأساطير هراء من منظور عقلي وعلى الباحث أن يعود إلى التفكير عن طريق البرهان كما أن أفلاطون(427–347 ق.م.) من قبله يعتبر أن الأسطورة غير قابلة للفهم.(3)

إذن, أخذت علاقة الإنسان بالأسطورة تأخذ مجرى جديد لم تعهده من قبل. فكأنها علاقة الاكتشاف من جديد لكن بطريقة جديدة وهي استعمال العقل لا المخيلة وهذا الطريق الجديد أوصل إلى علاقة قطيعة بين العقل الإنساني في كماله و الأسطورة القائمة على أحداث مقدسة وخيالية.

1.أرمسترونغ(كارين), المرجع السابق: ص73.
2.أرمسترونغ(كارين), المرجع نفسه: ص74.
3.أرمسترونغ(كارين), المرجع نفسه: ص89.

التأليـــف:

لقد شكل مفهوم الأسطورة في اللغة إشكالا تطلب الكثير من التدقيق والتفحص وذلك لغياب الدليل عن مصدر الكلمة الأصلي فقد ترجحت الآراء حول عودة الكلمة للإيطالية وهناك من يرجعها إلى الإغريقية والبعض يرجعها إلى الرومية.

هذا الاختلاف في أصل الكلمة لا يتبع اختلاف في المفهوم, فالأسطورة هي الأباطيل والأكاذيب, وعلاقتها بالأنماط الأدبية الأخرى وثيقة لكنها تخرج من الدائرة الأدبية الضيقة إلى أبعاد دينية أخرى مثل المقدس, فتبدو علاقتها بالدين قائمة على توحد حتى يكاد الباحث أن يجد صعوبة في تفريق معنى الدين عن معنى الأسطورة لأنّه لدى الأقوام البدائيين تتخذ الكلمتين معنى واحدا.

أما علاقة الأسطورة ببقية العلوم فتختلف أهميتها من علم لآخر، لكنها موجودة في العلوم المعنية جميعا، ويبدو اهتمام الفلسفة بالأسطورة مبكرا تليه بقية العلوم الأخرى كالأنتروبولوجيا الذي يعتمد على دراسة الظاهرة في محيطها.

ويبدو تطور الأسطورة تطور سريع, فقد أخذت مكانتها في المجتمعات الإنسانية منذ العصور الإنسانية الأولى, وتكشف عن ذلك القبور التي اكتشفت في ألمانيا, فالأسطورة تخاطب الوعي البشري وتبحث عن حقيقة الإنسان لدى من خلال المادة والجسد بل من خلال البعد لثاني فيه الذي يتطلب غذاء من نوع آخر.

الفصل الثانـي:

المعتقدات البدائيـة :

جذورها وتشكلاتها.

تمهيـــــــد:

ترتبط كلمة البدائية في السياق العام للفظة بمجموعة معينة من الأشخاص أو المجتمعات التي تتميز بظروف حياتية مختلفة.

وتعيش هذه المجتمعات على نمط مختلف عن بقية المجتمعات, فهي لها نظامها الاقتصادي الخاص، ولها نظامها الأسري الخاص, ولها نظامها الديني الخاص.

فبهذه الأنظمة الاجتماعية استطاعت الأقوام البدائية أن تسيطر على اهتمامات الأنتروبولوجيين جميعا وأن تغلب على الدراسات الأنتروبولوجية كلها,حتى عادت الأنتروبولوجيا وكأنها العلم الذي يختص بالشعوب البدائية فقط.

وقد سعى الأنتروبولوجيون للبحث في أنظمة هذه المجتمعات ومدى مطابقة مصطلح "بدائية" لهذه الأنظمة.

فهذه المجتمعات تعيش عيشة خام على الطبيعة الأولى للانسان في وضعية بسيطة بتنظيم اجتماعي خال من أي تعقيد على مستوى الشكل.

وفي هذا الباب من المذكرة لن يتم التطرق إلى جميع الأنظمة بل سيكون الاقتصار على الجانب الديني لدى هذه الشعوب مع محاولة تحديد معنى "البدائية" وعلاقتها مع الجانب الديني.

المبحث الأول: تعريف "البدائية"

- **<u>التعريف اللغوي</u>**

إن لفظة "بدائية في اللغة العربة تعود إلى فعل"بدأ".ويؤدي هذا الفعل معنى الأولية والأسبقية.ورد في لسان العرب"بدأت الشيء فعلته ابتداء"(1)

كما أن هذا الفعل يشتق منه اسم من أسماء الله وهو "المبدئ" أي الذي أنشأ الأشياء من غير سابق مثال(2). فهذا الاسم يؤكد بدوره على معنى الأولية والأسبقية. وتحتمل لفظة « primitif » باللغة الفرنسية المعنى نفسه.فهذه اللفظة بالفرنسية هي مرادفة لكلمة "بدائية" بالعربية, ويدل على ذلك الترجمة الموجودة لكلمة « primitif » في المعجم الفرنسي العربي "المنهل" حيث ترجمت اللفظة ب"أصلي, أولي,بدائي"(3)

وهذا الأمر يتجلى من خلال البحث في ترجمة الكلمة في اللغة الانجليزية إذ ترجمت اللفظة في "المورد الوسيط"ب"بداءة"(4)

وبالتالي تحتمل لفظة "بدائية" في اللغة الفرنسية والانجليزية المعنى نفسه في اللغة العربية,وهو معنى الأولية والأسبقية.

---

1. ابن منظور(محمد), المرجع السابق;1/ص177
2. انظر ابن منظور(محمد), المرجع السابق:1/ص178
3. إدريس (سهيل),المنهل, دار العلم للملايين,الطبعة السابعة 1983: ص 827.
4. البعلبكي(روحي),المورد الوسيط, دار العلم للملايين,الطبعة السابعة 2001: ص 145.

أما لفظة "البدائية" –بفتح الباء– فهي فرقة شيعية قيل أنهم جوزوا البدو على الله تعالى أي جوزوا أن يريد شيئا ثم يبدو له أي يظهر له ما لم يكن ظاهرا له.(1)

ولفظة "بدائي". بظم الباء . فقد ورد في المعجم العربي الأساسي أنه"ما كان في الطور الأول من أطوار النشوء"(2)

وتأخذ اللفظة معنى الظهور عند الرجوع إلى فعل "بدا".وقد ورد في لسان العرب "بدا الشيء يبدو بدوا وبداء بدا الأخيرة سيبويه :ظهر. وأبديته أنا: أظهرته."(3)

وعند تتبع مشتقات هذا الفعل أي فعل"بدا" نجد حضورا مميزا للفظة"البداوة"أو "البدو"

وقد بين المعلم"بطرس البستاني" أن "البدو خلاف الحضر وهو يطلق على سكان البادية من القبائل العربية الرحل الساكنين في صحارى بلاد العرب والعراق وشرقي سورية وجنوبيها وأماكن أخرى من افريقية وآسيا منتشرون في البوادي"(4)

ويؤكد "البستاني" على طريقة عيش البدو"وهم يحتقرون التجارة والزراعة ويفتخرون بالحرية والنسب المتسلسل إلى النبي إسماعيل إلى يقطان فهم بالحقيقة البقايا المحضة من العرب المشهورين"(5)

---

1. ابن منظور(محمد),المرجع السابق:178/1
2. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم, المعجم العربي الأساسي:ص136
3. ابن منظور(محمد), المرجع نفسه:178/1
4. البستاني(بطرس), دائرة المعارف, (دون طبعة) دار المعرفة (د.ت) :245/5
5. البستاني(بطرس), المرجع السابق:246/5

فهؤلاء البدو بالتالي يتميزون بنمط عيش معين وهو التنقل بين مواقع الغيث وذلك من أجل المواشي هذا بالإضافة إلى انتشار ظاهرة الثأر "وعند البدو شريعة عامة ترحبت بينهم بداعي الصالح العام وهي أن الدم فداء الدم فإذا قتل إنسان يجب أن قاتله يقتل بثأره"(1)

فالطابع المميز للبدو هو الطابع الصحراوي أو الجاف وهي تتفق اتفاقا شديدا مع لفظة "الأعراب". هذه اللفظة منتشرة في القرآن الكريم في تسعة مواضع ولعل الآية التي تؤكد على ذلك قوله تعالى في سورة التوبة«الأعراب أشد كفر أو نفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم»(2)

وقد فسر الطبرسي لفظة"الأعراب" في هذه الآية حيث قال "يريد الأعراب الذين كانوا حول المدينة, وإنما كان كفرهم أشد لأنهم أقسى وأجفى من أهل المدن وهم أيضا أبعد من سماع التنزيل, وإنذار الرسل" (3)

فالأعراب هنا يتصفون بالجفاء"ومعناه أن سكان البوادي إذا كانوا كفارا أو منافقين فهم أشد كفرا من أهل الحضر لبعدهم عن مواضع العلم واستماع الحجج ومشاهدة المعجزات وبركات الوحي"(4)

---

1. البستاني(بطرس),المرجع نفسه:247/5.
2. التوبة/97.
3. الطبرسي(الفضل), البيان في تفسير القرآن, الطبعة الأولى, مؤسسة الأعلمي للمطبوعات 1995: 109/5.
4. الطبرسي(الفضل),المرجع نفسه: 5 /109.

والآية الثانية من سورة التوبة«وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله، سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم »3

فقد فسر الشيخ الطاهر ابن عاشور هذه الآية بقوله" المراد أنهم كذبوا في الايمان الذي أظهروه من قبل ويحتمل أنهم كذبوا في وعدهم النصر ثم قعدوا دون اعتذار بحيث لن يكن تخلفهم مترقبا"4

فالأعراب يكتنزون عادة طابع الجفاء الذي هو نابع من بيئتهم الصحراوية، وهذا ما بينته السنة من تصرفات كان يقوم بها الأعراب الذين كانوا يأتون للرسول صلى الله عليه وسلم ليعلمهم دينهم.

وتمثل الحادثة المشهورة التي بال فيها أحد الأعراب في المسجد الذي يمثل أهمية كبرى في حياة المسلمين بل كان في حضور الرِسول عيه الصلاة والسلام خير دليل على ذلك. وهذا الحديث موجود في صحيح البخاري حيث ورد في باب"صب الماء على البول في المسجد": « حدثنا أبو اليمان قال: أخبرنا شعيب، عن الزهري قال: قام أعرابي فبال في المسجد, فتناوله الناس، فقام لهم النبي صلى الله عليه وسلم: دعوه وهريقوا علي بوله سجلا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين »3

---

1. التوبة/90.
2. ابن عاشور(الطاهر),المرجع السابق: 293/10.
3. البخاري, الجامع الصحيح, كتاب الوضوء4، باب 58 (صب الماء على البول في المسجد),ح2200.

- التعريف الاصطلاحي

لقد مثل مصطلح البدائية إشكالا واضحا بين علماء الأنتروبولوجيا. وأخذت الآراء تتعدد بغية الوصول إلى تحديد تعريف صريح له. ويعود هذا الأمر إلى ظهور مفاهيم جديدة تبدو منذ الوهلة الأولى مضادة لمفهوم البدائية ومقابلة له. يقول فراس السواح"قادت المفاهيم التطورية إلى إحداث مصطلح البدائي والبدائية"(1)

ويظهر مفهوم التطورية خاصة في نظريات"داروين" البيولوجية في القرن التاسع عشر أو حتى من خلال النظريات الأنتروبولوجية ل"هربرت سبنسر"(2)

وقد تحدث "فرانسس هسو"في مقالة نشرها "مونتاغيو أشلي" في كتابه على التطور الثقافي الذي تكلم عنه "تايلور" في كتابه "الأنتروبولوجيا" حيث قسم هذا الأخير هذا التطور إلى ثلاث مراحل:أول المراحل "الوحشية" التي تتميز بالعيش على النباتات والحيوانات البرية واستعمال آلات العصر الحجري. وثاني المراحل "البربرية" التي تتميز بظهور الزراعة والآلات المعدنية ونوع من الحياة الجماعية في القرى والحواضر. أما المرحلة الثالثة فهي المرحلة "المتمدينة" التي بدأت عندما اكتشف الإنسان فن الكتابة.(3)

---

1. السواح(فراس), موسوعة تاريخ الأديان, الطبعة الأولى, دار علاء الدين 2003,:10/1
2. السواح(فراس), المرجع السابق:10/1.
3. مونتاغيو(أشلي)ومعه, المرجع السابق: ص54

وقد أدت هذه المفاهيم التطورية إلى ظهور الأحكام المعيارية حول الإنسان البدائي واعتبرته غير متطور في جميع النواحي الفكرية والثقافية والبيولوجية,كما صورته على أنه وحش وغير قادر على الإبداع. يقول "أشلي": "فالإنسان البدائي أي إنسان ما قبل التاريخ, غالبا ما يتصوره الناس وحشا غائر الجبهة صغير الدماغ, ضخم الرقبة, خائر الركبتين"(1)

وقد أخذ مصطلح "البدائية" يخص الجماعات التي عاشت في بداية عملية النشوء أو كانت أقرب إلى إنسان العصور الحجرية وأصبحت ثقافة هذه الجماعات بل كل الأنساق الاقتصادية والاجتماعية والدينية التي ترتبط بها يوصف بالبدائية.يقول فراس السواح"وقد تم النظر إلى كل ما يمت إلى هذه الجماعات بصلة, باعتباره "بدائيا" وفق الحكم القيمي التطوري, وصار الحديث عن"دين بدائي" و"أخلاق بدائية" و"مؤسسات اجتماعية بدائية"(2)

ويعتبر "فرانسس هسو" أن اصطلاح "البدائية" واسع الاستعمال وأن المعاني التي ترتبط به تتصف بالغموض والتضارب ويتحلى هذا الأمر من العمل الذي قامت به "لوس مدنك" وهي مساعدة "فرانسس" التي قامت بالبحث عن استعمالات المصطلح وكيف تناوله الأنتروبولوجيون في كتاباتهم يقول "

---

1. مونتاغيو(أشلي)ومعه, المرجع نفسه: ص15.
2. السواح(فراس), المرجع السابق:10/1.

فرانسس":" أن اصطلاح البدائية واسع الاستعمال في الأعمال التقويمية ذات الصبغة العامة وان المعاني المرتبطة به تتصف بالغموض و التضارب كما تبين من المسح الذي قامت به "لوس مدنك" وهذه المعاني هي :لاكتابية, دنيا, بسيطة, آلات بسيطة, غير متمدينة تكنولوجية هي في جوهرها أشبه بتكنولوجيا ما قبل التاريخ, صغيرة, معزولة..."(1) ومن هنا يمكن استنتاج عدة أمور لخصها "فرانسس" في أربعة: أولها أن أكثر الكتاب يربكون بالكلمة معنى البساطة والقدم والتدني وفي بعض الأحيان القليلة الأخرى يستعمل كتاب المصطلح للتعبير عن صفات جيدة ثانيها أن هذه المعاني إلى جانب تنوعها وانعدام الصلة بينها, تستخدم بإهمال وتتضارب فيما بينها. ثالثها استعمال بعض الكتاب الاصطلاح بحكم العادة, رابعها أن بعض الكتاب لا يستعملون كلمة بدائية لتصنيف معلوماتهم فإنهم لا يحولون تقوم استعمالها من قبل الآخرين في الأعمال التي يقتبسون منها (2) وقد رصدت "كاثرين بيزيندت" معنيين اثنين لمصطلح البدائية أول تلك المعاني الخشونة والانعدام التطور وتدني النوعية و المعنى الثاني مرتبط بالاشتقاق اللغوي للكلمة والذي يكون الزمن أصلا مهما في ذلك المعنى (القديم ولأصلية والأولية)(3)

---

1. مونتاغيو (أشلي)ومعه, المرجع السابق:ص ص62 –63.
2. انظر مونتاغيو (أشلي)ومعه, المرجع السابق: ص84 .
3. انظر مونتاغيو(أشلي), المرجع نفسه: ص22–23.

كما أن من الأنثروبولوجيين من يعتبر هذا المفهوم بمعنى التأخر التكنولوجي والعلمي (1)

وقد ساهمت النظريات التي أدت إلى المعاني السابقة في مزيد تهميش الشعوب التي يطلق عليها اسم "البدائيين" حيث بدت تلك الشعوب توصف بأوصاف تجعلها خارج الزمن.

وقد نفى "لفي بريل" على تلك الشعوب أن تكون ذات منحى منطقي أو فكري حيث جسد هذه النظرية في كتابه "العقلية البدائية" إذ يقول: "فإذا كانت العقلية البدائية تجهل العمليات المنطقية و تفر منها وتتجنب ما يدركه التعليل والتروي"(2)

كذا الأمر عند "أشلي" الذي يقول عن البدائيين "نعني أن هذه الشعوب هي بالمقارنة على ما نحن عليه غير متطورة وهذا من عدة وجوه صحيح فهو يصح مثلا في حالة القراءة والكتابة وفي حالة التقدم التكنولوجي ولربما صح أيضا بدرجات متفاوتة في عدة نقاط على بعض جوانب تطور الأخلاق و المؤسسات"(3)

---

1. *Patte, Etienne,* Les hommes préhistoriques et la religion, *A. et J. Picard et Cie, Paris 1960, p. 26.*
2. بريل(لفي),العقلية البدائية, ترجمة محمد القصاص و حسن الساعاتي: ص.19
3. مونتاغيو (أشلي)ومعه, المرجع السابق: ص13 .

لكن يفند فراس السواح هذه النظرة ويعتبرها نظرة متعالية غير دقيقة حيث يقول"غير أن هذا الحكم القيمي الذي يرى في كل ما هو بدائي حالة متدنية هو حكم غير دقيق في الواقع و مسألة البدائية لا يمكن تقريرها بمثل هذه السهولة"(1) أما "فرانسس" فيعتبر أن المصطلح لم يفد في شيء إذ يقول"لا يبدو أن استخدام كلمة بدائية بالذات يقدم أي ميزة فكرية أو تحليلية, فالتحليلات التي بين أيدينا لا ترينا ما إذا كان استخدام الكلمة قد أعطانا مزايا للتوصل إلى نظريات معينة بل على العكس من ذلك, أرى أن استمرارنا في استخدامها قد يفضي بنا إلى عقبات"(2)

ومن العقبات التي يقصدها "فرانسس" أن "مفهوم البدائية على النحو الذي استخدم فيه في معظم كتب الأنتروبولوجيا, لا يتصف بالصحة التجريبية ولا بالفائدة النظرية"(3) كما أن "صول تاكس" من خلال مقالته "الشعوب البدائية" التي نشرها له "أشلي" في كتابه يعتبر أن"المعاني القاموسية لكلمة بدائية لا تشير إلى وجود جماعات من هذا النوع, أو على الأقل, ليست الشعوب التي ندرسها بدائية بالمعنى الذي نفهم به هذه الكلمة"(4)

---

1. السواح(فراس), المرجع السابق: 13/1.
2. مونتاغيو (أشلي)ومعه, المرجع السابق: ص84.
3. مونتاغيو (أشلي)ومعه, المرجع نفسه: ص85.
4. مونتاغيو (أشلي)ومعه, المرجع السابق: ص106.

لقد سعى علماء الأنتروبولوجيا إلى البحث عن مصطلح جديد لتعويض مصطلح البدائية " لقد أدت هذه الرؤية الجديدة لمسألة البدائية إلى إعادة النظر في المصطلح نفسه و محاولة استبداله بمصطلح بديل لا يوحي بفكرة التدني من الناحية التطورية"(1)

وقد أفرزت هذه الجهود المبذولة لإيجاد مصطلح جديد مكان مصطلح البدائية فظهرت مصطلحات مثل "الجماعات اللا كتابية" و"الجماعات الاثنية" و"الجماعات الوطنية"(2)

أما "مرسيا الياد" فيستعمل مصطلح "التقليدي" مثل قوله "المجتمعات التقليدية" (3)ويستعمل أيضا "مجتمعات الزمن القديم"(4)

كذلك يستعمل "المجتمعات الموغلة في القدم(5) ويعود هذا الاختيار بالأساس إلى كون هذه المجتمعات بطيئة في النمو والتغيير تقول كاثرين بيزيندت "أن تطور المجتمع الإنساني عبر التاريخ يوازيه تطور الأفراد من عهد الطفولة إلى عهد النمو الجسماني و الاجتماعي, وقد أشير أحيانا إلى طفولة الجنس البشري والى يفاعة إنسان ما قبل التاريخ وأنداده الأحياء إلى تناولهم الساذج, غير الراشد لعالم الواقع(6)

---

1. السواح(فراس),المرجع السابق: 1/ 13.
2. مونتاغيو (أشلي)ومعه, المرجع السابق: ص14.
3. إلياد(مرسيا), المرجع السابق: ص20.
4. إلياد(مرسيا), المرجع نفسه: ص20.
5. الياد(مرسيا),المرجع نفسه: ص20.
6. مونتاغيو (أشلي)ومعه, المرجع السابق: ص14

و بالتالي فإشكالية المصطلح تبقى قائمة ولا يمكن حلها بسهولة. لكن فراس السواح من خلال كتابه موسوعة تاريخ الأديان يضع حدا لهذا الإشكال حيث يقول"وبما أن هذه المصطلحات الجديدة مازالت موضع جدل بين الباحثين, ولم يكتب لواحد منها الاستمرار والانتشار, يمكن في اعتقادي المحافظة مؤقتا على مصطلح البدائي بعد استبعاد المعاني السلبية التي ارتبطت به"(1)

وقد سار أغلب الأنتروبولوجيين على هذا المبدأ فكلمة "البدائي" أو "المتوحش" لا يستعملها الأنتروبولوجي إلا للدلالة على الشعوب التي ليست لديها لغات مكتوبة. وأخذوا يجردونها من كل مفهوم سلبي وخير مثال قول "صول تاكس" في مقال "الشعوب البدائية" :"إن الأنتروبولوجي يعرف بأنه من يدرس "الشعوب البدائية" لكن المعاني القاموسية لكلمة بدائية لا تشير إلى وجود جماعات من هذا النوع, أو على الأقل, ليست الشعوب التي ندرسها بدائية بالمعنى الذي تفهم به هذه الكلمة, ففي عالم اليوم غدا العلماء الذين يدرسون الجماعات البدائية بلا موضوع يدرسونه"(2)

ويؤكد هذا القول على حساسية استخدام كلمة "بدائي" حتى أن "فرانسس" يقول:"أنا لا يتصف بالصحة التجريبية ولا بالفائدة النظرية, وأن هذا هو سبب تنوع أزعم أن مفهوم البدائية على النحو الذي استخدم فيه في معظم كتب الأنتروبولوجيا

---

1. السواح(فراس),المرجع السابق: 13/1.
2. مونتاغيو (أشلي)ومعه, المرجع السابق: ص106.

استخدامات الكلمة و عمقها الفكري"(1)

إذا فمفهوم "البدائية" في حد ذاته هو من أبرز الأسباب في عدم قدرة الأنتروبولوجيين لكشف اللبس حول الكلمة, كما تتضافر أسباب أخرى تدعم هذا العجز, منها خاصة عمق المخزون الثقافي لهذه المجتمعات و عدم دراسة الأنتروبولوجيين لثقافاتهم (2)

لقد مثل مصطلح البدائية إشكالا منذ الوهلة الأولى.فالأنتروبولوجيا معلوم عنها أنها ذلك العلم الذي يدرس الشعوب من منظور موضوعي وواقعي وتجريبي.وكل النتائج التي يتوصل إليها الأنتروبولوجي يسعى من خلالها هذا الأخير إلى تحديد أسباب وعوامل نشوء معتقدات أو سلوكيات أو أخلاقيات بعض الشعوب بل وفهم رموزها. لكن ما أحدثته كلمة "بدائية" من أضرار لعلم الأنتروبولوجيا كما يدعي "صول تاكس"(3) أدى إلى تهميش الشعوب التي نعتت بهذا الوصف حتى أصبح من ينتسب إلى هؤلاء ينظر إليه بعين الدونية.

---

1. مونتاغيو (أشلي)ومعه, المرجع نفسه: ص85.
2. انظر مونتاغيو (أشلي), المرجع نفسه: ص100.
3. انظر مونتاغيو أشلي, المرجع نفسه: ص 106.

كما أن النظريات والتجارب التي أجريت حول الشعوب البدائية أفرزت نتائج مغايرة لمعاني الكلمة المعيارية و الاستعلائية. لذلك فخير ما أوجده الأنتروبولوجيين من حل هو استعمال الكلمة "بدائية" مع سحب أي معنى يوحي بالبساطة والسذاجة.

فمميزات المعتقدات البدائية والظواهر الدينية لهذه الشعوب خير دليل على ضرورة ترك المعاني السلبية للكلمة.

المبحث الثاني:الخصائص المميزة للمعتقدات البدائية

- المعبودات

الآلهة: تمثل الآلهة أهم المعبودات لدى الشعوب جميعها.وتنقسم الآلهة إلى "اله أعلى"و "آلهة صغرى". ويشكل "الإله الأعلى" إشكالا لا يستهان به لدى الشعوب البدائية.فان كان يمثل أهم معبود لدى اليهود والمسيح والمسلمين باعتباره المعبود الوحيد, فان دوره في حياة الأوائل ومن يعيشون على طريقتهم لا يعتبره كثير من الأنتروبولوجيين مهما بسبب الزخم الهائل للمعبودات.و يؤكد "جون نوص" على ذلك في مقالة بعنوان"الخصائص المميزة للدين في المجتمعات البدائية" أوردها فراس السواح في موسوعته بقوله:"يدور الجدال بين الأنتروبولوجيين حول ما إذا كان الإله الأعلى أكثر أهمية لدى هؤلاء من القوى الروحية الأكثر قربا منهم على الأرض"(1) وقد ذهب عديد الأنتروبولوجيين إلى أبعد من ذلك و شككوا في وجود" اله أعلى" بالأساس فبعد هذا "اله الأعلى" عن حياة البشر جعله لايستولي على كل اهتمام البدائيين مما جعل دوره خاليا من أية أهمية, يقول "جون نوص" :"إن البدائيين لا يولون عناية,أو اهتماما يوميا بالإله الأعلى, لأنه بعيد, وغير مخلوق, وموجود منذ البداية لكن الأرواح قريبة وأكثر فاعلية فيما يتعلق بتحديد المصائر والأقدار على الأرض"(2)

---

1. السواح(فراس), المرجع السابق,ص29
2. انظر السواح(فراس), المرجع نفسه,ص29

هذه المقولة تفتح الباب للاهتمام بعلاقة البدائي بمحيطه.هذه العلاقة وثيقة جدا فالبدائي يرجع إلى الطبيعة ليستلهم منها معبوده.يقول اندريه اليمار:"ومن حيث أن الفكرة الدينية المصرية قد نشأت كما في غير مكان, من المعضلات التي واجهها البشر في علاقتهم بالعالم المحيط بهم الذي تستبد حياته بحياتهم فهي قد انبثقت بديهيا من المادة الجامدة ومن المحدوس, مع بعض التفضيل للمرئيات"(1)إن متانة العلاقة التي تحدث عنها أليمار بين المصريين و محيطهم جعل العدد الآلهة مرتفعا جدا , حتى أصبح لكل حالة ولكل وضعية ولكل حادثة آلهة تتحكم فيها وتشرف عليها فاختلفت الآلهة من "آلهة الحب" و"آلهة الخصب" و"آلهة الحرب" وآلهة الموت" وغيرها كثير. يقول اليمار:"عدد هؤلاء الآلهة مرتفع جدا لتنوع طبيعتهم"(2)

وان كان اهتمام البدائيين بآلهتهم اهتماما لا سبيل إلى نكرانه فان عبادة الأرواح تنازع عبادة الآلهة لدى هذه الشعوب, يقول "جون نوص" عن "الإله الأعلى" أنه:" يبقى في أغلب الأحوال أقرب ما يكون إلى البديهية الإلهية منه إلى الحقيقة الدينية الدائمة الحضور"(3)

---

1. ايمار(اندريه), تاريخ الحضارات العام,ترجمة فريد داغر و فؤاد أبو ريحان,منشورات عويدات,الطبعة الأولى 1964, 85/1
2. ايمار(اندريه), المرجع السابق: 84/1
3. السواح(فراس), المرجع السابق:ص29

الأرواح:بعد دراسة قيمة الآلهة في حياة البدائي نجد مزاحمة كبيرة لعبادة الأرواح فالبدائي له وجهة نظر شخصية بالنسبة له في خصوص الروح التي يعتبرها حساسة و لاتقل أهمية عن البشر.وهذا الأمر يؤكد على وفاء البدائي لأجداده كما يؤكد على قيمة المخيال لديه.يقول "جون نوص" : "فالأرواح شكل وعقل وشعور وإرادة وأهداف , وهي كالبشر من حيث سلوكها الحميد عندما يكون مزاجها رائقا, وسلوكها المشاكس العدواني في أحوال الانزعاج والغضب"(1)

كما أن الاعتقاد بالأرواح يقترن بالاعتقاد بحيوية المادة أي أن كل الأشياء المدركة ما سكن منها وما كان حيا ومتحركا, لها أرواح و أن لكل إنسان روح تغادر جسده مؤقتا أثناء الأحلام و نهائيا عند الموت (2)

فعبادة الأرواح مرتبطة بكل دقائق الحياة الدينية والاجتماعية فهي تتعلق بالأجداد والعبادة.هذا الأمر جعل الأرواح أقرب وأكثر فاعلية بالنسبة لهؤلاء الشعوب(3)

وتتواصل عبادة الأرواح في شكل جديد وهو عبادة الطوطم.

---

1. السواح(فراس),المرجع نفسه:ص26
2. انظر السواح(فراس),المرجع نفسه:ص26
3. السواح(فراس),موسوعة تاريخ الأديان: ص29.

الطوطم: إن عبادة الطوطم تقترن بالأساس بعبادة الأرواح فالإنسان البدائي يتصور أن روح الجد يمكن أن تحل في حيوان أو شجرة, فانتقل إلى عبادة الحيوانات و الأشجار, يقول محمود مصطفى:" ثم بدأ الإنسان البدائي يتصور أن روح هذا الجد يمكن أن تحل في حيوان أو شجرة..فانتقل إلى عبادة الحيوانات والأشجار..وأصبح لكل قبيلة حيوانها الخاص الذي تعبده "(1)

وهذا الانتقال ساهم بشكل كبير في حياة البدائيين لا الدينية فقط بل حتى الاجتماعية فأخذت المجتمعات الأولى تنقسم بحسب انتمائها إلى الرمز الطي تنتمي إليه.وحتى العلاقات الأسرية من زواج وغيره جعلت تحت ضوء الطوطم ووضعت تقييدات وتقاليد يجب إتباعها. كما أن عبادة الطوطم أثرت في الحياة الاقتصادية إذ أن من يعبد رمزا معينا يحرم عليه أكله و انتهاك حرمته وبالتالي فالناحية الاقتصادية قائمة على مجموعة من الأطعمة غير الطوطم الحيواني أو النباتي التي ينتسب إليه الفرد. يقول "جون نوص": "إن من لاينتمون إلى العشيرة يمكن أن يأكلوا من الطوطم بحرية , إلا المجموعة الطوطمية تعتبره محرما وتأكل منه بتقتير شديد, حتى عندما تسمح مناسبة الوجبة المقدسة الدورية بذلك"(2)

---

1. .محمود (مصطفى)، الله، الطبعة الأولى، دار العودة 1972: ص62.
2. السواح(فراس) ،موسوعة تاريخ الأديان: ص34.

إذن فعلاقة البدائي بمحيطه علاقة وثيقة جدا زادت في تبيينها الطوطمية التي أصبحت ديانة لها وزنها بين الديانات القديمة . وتبرز متانة العلاقة من خلال أهمية الطوطم بالنسبة لحياة البدائي حيث أضحى محور وجوده. يقول "اندريه ايمار":" ونحن نجد, قبل بدء الأزمنة التاريخية و توحيد البلاد, شارات المناطق المصرية المميزة مرسومة على المراكب والأبنية التي تزين الخزفيات. و هي عبارة عن صور حيوانات أو نباتات أو أدوات مثبتة في أعلى الأعمدة الخشبية "(1) فصور الحيوانات و النباتات التي وجدت على تلك السفن تؤكد أهمية الطوطم الذي تشكل في صبغة قدسية على من ينتمي إليه و فرض عقوبة قاسية على من ينتهك تلك الحرمة :" وعقوبة الموت أو الجزاء النقدي تفرض على من يخالف القانون و يستحل قتله والاحترام يؤدي إلى ممثل الفصيلة الحيوانية المعتنى به في أحد المعابد والى جميع حيوانات هذه الفصيلة بعد الموت"(2)

---

1. ايمار,(اندريه) المرجع السابق, ص86
2. ايمار(اندريه),المرجع نفسه ,ص87

- الطقوس:

الصلوات: تمثل الصلوات أبرز النواحي الطقسية التي ترتبط بالحياة الدينية في أي دين كان, فهي تعبر عن الجزء التطبيقي من الإيمان. إذ أن المؤمن يحمل جانب شخصي وهو الاعتقاد الداخلي بالإله و جانب آخر يشترك فيه مع المجموعة التي تنتمي إليها. و تختلف هذه الصلوات في أشكالها من دين لآخر ومن زمان لآخر ومن مكان لآخر يقول "جون نوص": "هنالك استخدام تلقائي لحركات وإشارات ورقصات. كما تستخدم الكلمات "(1) هذه الأفعال تهدف إلى التحكم في الأرواح وتجعلها طائعة للبشر, ومن هنا تتجلى قوة التعويذات التي توجد في الصلوات التي تقترن شديد الاقتران بجميع المظاهر الدينية الأخرى من الأرواحية والسحر والعرافة. ويغلب على هذه الصلوات حالة من القلق والرهبة تجاه المقدس, يقول "جون نوص": "أما عند البدائيين, فان المواقف الدينية تتميز بالقلق"(2) هذا القلق ينحصر في نوعين حسب "جون نوص" الأول قلق يتأتى من الأزمات أو الضغوط في حياة الفرد أو الجماعة والثاني الخشية من عدم إتمام الطقوس إلى الحد الكافي أو بالشكل الأمثل(3)

---

1. السواح(فراس),المرجع السابق,ص24
2. السواح(فراس),المرجع السابق, ص18
3. انظر السواح(فراس),المرجع السابق, ص18

هذا القلق يستدعي طقوسا معينة تتشكل في مجموعة من الصلوات

الجنائز: إن الجنائز من الطقوس التي تحضى بأهمية في حياة البدائي الدينية لأنها تقترن بالعلاقة بين البدائي و قريبه الميت أي هي العلاقة بين الحياة والموت. فكما ذكر سابقا في أن عبادة الأرواح تدل على وفاء البدائي لأرواح الأجداد فهذا الطقس بدوره يدل على نفس الشيء.

ومن أهم أمثلة اعتناء البدائي بميته ما فعله المصريون القدامى الذين كانوا يحنطون موتاهم و من هنا يتجلى ذلك الاهتمام إذ يعتبر العديد من العلماء أن المصريين القدماء توصلوا إلى ابتكار طريقة في تجهيز الميت لامثيل لها. إذ أن الجثة رغم مرور آلاف و آلاف السنين فهي لا تنحل وهذا أمر في الحقيقة مثير للدهشة يدل على أن الشعوب البدائية لها مميزات حضارية ودينية يجب احترامها و لابد من تجنب نعتها بأوصاف لا موضوعية يقل اندريه ايمار"وهكذا تغلبت ألوف المومیات على الزمن, بفضل مناخ مصر الواقي, بعد جفافها.ومنها ما يرتقي عهده إلى الإمبراطورية القديمة, على الرغم من أن طريقة التحنيط هذه قد استمرت, بعد ذلك أكثر من ألف و خمسمائة سنة في طريق التقدم والاكتمال"(1)

---

1. ايمار(اندريه), المرجع السابق,ص107

وتتواصل عملية دفن الميت بعد ذلك ففي الديانة المصرية القديمة تخرج الجنازة مع موكب من الأقارب وتماثيل الآلهة والنائحات إضافة إلى الإبحار على النيل"ثم تأتي الجنائز مع موكب الأقارب وتماثيل الآلهة والنائحات, الإبحار على النيل على غرار أوزريس الصعود البطيء نحو المقبرة عبر الأسوار الصخرية الغربية "(1)

هذا يدل على متانة العلاقة بين البدائي و المحيط الذي يعيش فيه. وان كانت هذه الملاحظة قد تم التطرق إليها في عديد المناسبات إلا أن الضرورة تقتضي في كل وقت أن يتم الإشارة إليها. كما أن عقيدة البعث تتجلى من خلال الجنائز إذ أن قبر الميت يحتوي على أطعمة و ألبسة عند المصريين القدامى مثلا, حيث يقول ايمار:"ومع ذلك لم تكن مطاليب الميت لتقتصر على هذه المراسم الجنائزية فهو بحاجة إلى الغذاء وهناك نصوص عديدة تكشف عن وسواس الجوع و العطش عنده اللذين يدفعان به إلى أحقر التسولات" (2)

- السحـر:

إن السحر والتنجيم والشعوذة من أهم الظواهر التي تسيطر على العقيدة الدينية البدائية.وقد ذهب العديد من علماء الأنتروبولوجيا إلى اعتبار هذه الظواهر من

1.ايمار(اندريه),المرجع نفسه, ص108.

2. ايمار(اندريه) المرجع نفسه,ص108.

صلب الدين بل هي الدين ذاته. ويعود هذا الاختلاط إلى صعوبة تعريف السحر من جهة والى مميزات الممارسات السحرية وأهميتها في حياة البدائي.

فالسحر والدين أمران متلازمان لا ينفصلان عند الشعوب البدائية, فكلاهما يعتني بالجانب الغيبي و الأرواح التي يسعى الإنسان إلى السيطرة عليها, يقول "جون نوص": " بشكل عام يمكن تعريف السحر على أنه محاولات تهدف إلى إخضاع القوى في العالم أو تطويعها لإرادة الإنسان, وذلك من خلال أقوال أو أفعال معينة أو كليهما(1) ,كذلك أندريه أيمار يذهب إلى اعتبار العلاقة التلازمية بين السحر والدين بما أن عديد الظروف حتمت على المؤمن مراجعة رجال الكهنوت لقاء أجر محدد وضعت الهياكل سحرتها و عرافيها في خدمة الجمهور وخدمة الملك(2) غير أن "جون نوص" يرى أن الدين و السحر رغم اقترابهما من بعضهما إلا أنهما منفصلان عن بعضهما." إن السحر والدين هما قطبان في سياق متصل, بحيث أن كلا منهما يلقي بظله على الآخر بشكل تلقائي ومع ذلك لابد من التمييز بينهما." (3) فمن ناحية أولى يكون اتصال السياق من خلال محاولة السحر والدين إخضاع قوى الطبيعة لفائدة الإنسان أما عملية الاختلاف فهي من خلال إلزامية الطقوس الدينية

---

1. السواح(فراس), المرجع السابق:ص22
2. ايمار (اندريه), المرجع السابق:ص169
3. السواح(فراس), المرجع السابق:ص21

واختيارية الطقوس السحرية حسب ما ذهب إليه دوركايهم (1) و اعتبار السحر وسيلة للوصول نتائج فورية بينما الدين هو غاية في حد ذاته ولا ينتظر منه نتائج فورية وهذا المذهب هو مذهب مالينوفسكي (2) أما فريزر فقد اعتبر أن السحر والدين يفترقان عن بعضهما أولا من خلال التسلسل الزمني بما أن السحر أسبق زمنيا, وثانيا الشكل أي كيفية ممارسة الطقوس السحرية والطقوس الدينية.(3)

وعادة يقوم بالأعمال السحرية شخص له القدرة على التفاعل مع الأرواح والسيطرة عليها ليرجع إليه سكان قبيلته في المآسي والأوضاع الصعبة مثل الجفاف او غيره من الكوارث الطبيعية. و يسمى هذا الشخص باسم "الشامان" في منطقة آسيا الغربية والوسطى. لهذا "الشامان" كما لغيره من السحرة طقوس معينة يسترضي بها الأرواح ويتوسل لها من أجل إقامة الخير أو لإلحاق شر بشخص ما أو مجموعة معينة. وهذا ما يراه فريزر الذي درس ظاهرة السحر لدى الشعوب

---

1. السواح(فراس),المرجع نفسه: ص21.
2. السواح(فراس),المرجع نفسه: ص21.
3. السواح(فراس),المرجع نفسه: ص21.

البدائية والافريقة خاصة, حيث يعتبر أن الساحر بأفعاله وتمتماته وشعائره السحرية يزعم أن له القدرة على التحكم في القوى الطبيعية لجلب السعادة أو الأحزان لأعدائه.(1)

وهكذا يكون السحر أحد أبرز الظواهر الدينية التي سعى إلى فهمها الأنتروبولوجيين لأنه من خلال فهمها يصبح فهم المجتمعات البدائية أسهل و أنجع.

---

1. *Frazer, James,* Histoire générale des religion *; Magie et Religion, Aristide Guillet, P. 105*

التأليـــــف

لقد مثلت الشعوب البدائية إشكالا معرفيا حاول العلماء، خاصة المهتمون بعلم الاناسة منهم، أن يجدوا سبلا كفيلة لحل المزالق المفهومية التي تعتري حيثيات المصطلح من جهة و حيثيات المعتقدات التي وصفت ب"المعتقدات البدائية" من جهة أخرى.

ولقد حاول هؤلاء العلماء التأقلم مع الغموض الذي يكتنف أغلب متعلقات الحياة البدائية التي تتميز بالبساطة و البعد الثقافي والحضاري العميق.

ورغم الجهالة والأمية اللذان يغلبان على المجتمعات البدائية فان حضور المعتقد الديني وصورة الإله إنما ينم على البعد الخيالي والذهني الواسع وهذا ينفي الأطروحات التي تعتبر العقلية البدائية عقلية متوحشة وبليدة ومتخلفة عن العقلية الأوروبية.

وتتمسك الشعوب البدائية بمعتقداتها الدينية السائدة لديها عبر العصور و تعتبرها يقينا لا يمكن الطعن في صحته في أي حال من الأحوال. وقد ظهرت عديد الظواهر الدينية التي أكدت على تمسك البدائيين بمعتقداتهم ومن أهم تلك: الظواهر الأساطير التي لها علاقة وطيدة مع جميع المعتقدات بما أن البدائي يعتبر الطقوس التي يقوم بها مصدرها الأجداد أو شخصية أسطورية فعلت مثل هذا الفعل لذا لابد من إتباعه.

الفصل الثالث:

الأسطورة: خصائصها ووظائفها.

تمهيـــــد

إن دراسة المجتمعات البدائية دراسة معمقّة هي أمر تستلزمه مسيرة الإنسانية. فالمجتمع الديني يتميز بنظام ديني معقد كانت فيه الأسطورة أكثر الأشكال الدينية حضورا في حياة الإنسان البدائي.

وبالبحث الشامل في الأسطورة، يتضح أنها تتميز بخصائص معينة تختلف فيها عن الأشعار و النصوص المقدسة والقصص الأدبية. فالأسطورة ليست بشعر، والأسطورة ليست بكتاب سماوي، والأسطورة ليست بإحدى القصص الاجتماعية لمؤلف مشهور.

فما هي الأسطورة ؟

لن يكون تناول الأسطورة في هذا المبحث من زاوية التعريف اللغوي و الاصطلاحي فقد سبق التطرق لهذا الجانب في الفصل الأول من هذا البحث, وإنّما سيكون الاهتمام بتعريف الأسطورة من خلال وظيفتها ومميزاتها المنفردة عن الأنماط الأخرى.

المبحث الأول: خصائص الأسطورة:

من أهم مميزات الأسطورة أنها مجهولة المؤلف لأنها عامة فقد تبناها المجتمع فصارت نتاجا له.و قد ذهب دي راجمون الى أنها لا مؤلف لها وبالتالي فهي غامضة الأصل و غامضة المعنى.(1)

- الخصائص الفكرية

ارتباط المنطق باللامنطق:

إن لفظة المنطق توحي بالأساس بحضور الجانب العقلي في الأحداث، إلاّ أن منطق الأسطورة لا يعترف بهذا الجانب ولا يوليه أي اعتبار. وبالتالي يكون منطق الأسطورة هو اللامعقول إذ يقول كلود ليفي ستراوس " مع الأسطورة يصبح كل شيء ممكنا " (2)

وصانع الأسطورة لا يعترف بالزمان والمكان ويتجاوز المعقول إلى لامعقول ووسيلته في ذلك الخيال، وبالتالي يكون عدم التمييز بين الواقع والوهم حيث تطغى الروح العاطفية على العقل. و من هنا لا يمكن التمييز بين الأحلام والأوهام والرؤى العادية، كما أن الصفات تتجسد مثل الخير والشر و الجمال والقبح. كما أن للأسطورة منطقا خاصا لا يمكن إرجاعه إلى أي منطق آخر، فهي تكشف عن حقيقة هامة وان تعذر إثباتها حقيقة.

---

1. انظر محمود عزيز(كارم), أساطير التوراة الكبرى, الطبعة الأولى, دار الحصاد للنشر والتوزيع 1999: ص14.
2. محمود عزيز(كارم), نفس المرجع: ص14.

أما بالنسبة للجانب الموضوعي للأسطورة، فيتجلى من خلال ارتباطها بالواقع حيث تقوم بالتفسير والتعليل للحوادث فالبعض يعتبر أن الأسطورة وقعت أحداثها لكن قد تم تحريفها. يقول كارم محمود عزيز:"والرموز التي تتردد فيها يجب أن تكون محل اعتبار كبير بيننا, لا على أساس أنها هراء أو وسائل خاطئة للسيطرة على الطبيعة وعمليات استبدال عالم طيب بعالمنا الواقعي المليء بالشرور, وإنما على أساس إنها واقع حدث, وان يكن الإطار الأدبي الذي صيغت فيه واد فيه أو حرف"(1)

قطعية الفكر الأسطوري:

لقد أكدت التعريفات الموجودة على أن الأسطورة حكاية مقدسة، بما أن المقدس يسيطر بشكل كبير على المواضيع الأسطورية. و يبعد الجانب الفكري كل البعد بالتالي دائرة الشك أو الجدل حوله. ويتضح جليا أن الحقائق الأسطورية قطعية لا بقدسية الأحداث والأهداف فحسب بل بقطعية المعتقدات التي هي حقائق لا يمكن الطعن فيها. وبالنسبة لحضور الحركية في الفكر الأسطوري فهو حضور أشبه ما يكون بالمعدوم فهو فكر مغلق بعيد عن الديناميكية ويتميز بالسكون. والظاهر أن هذا الجمود يعود بالأساس لابتعاد الأحداث عن الزمن البشري الملموس و حضور اللامعقول في تلك الأحداث

---

1. , انظر محمود عزيز(كارم), المرجع السابق: ص16.

عمق المعنى الفلسفي:

إن الفكر الفلسفي فكر متسع اتساعا يسمح بولوج الأسطورة في نطاقه، فهو وعي عقلي بالأساس ينظر إلى الأمور من منظور منطقي.

وفي هذا الإطار يمكن الجزم بأن الوعي الأسطوري هو جزء من الفكر الفلسفي رغم أن ظاهر الأمر يلّمح على تفرقة الفلسفة والأسطورة عن بعضهما البعض.

ويتضح مما سبق ذكره أن علاقة الصراع التي كانت موجودة بين الفلسفة والأسطورة تلغى إلغاء تاما، وقد سبق ذكر هذا الصراع و رصد نظرة الفلاسفة للأسطورة وذلك في الفصل الأول من هذا العمل في الجزء المخصص للتعريف الأسطورة لدى علماء الفلسفة.

والدراسة المقارنة بين الفلسفة والأسطورة تؤكد على القول السابق. فعلاقة الأسطورة بالفلسفة علاقة تكاملية، حيث تكون الفلسفة هي السبيل الأول لفهم الرموز الأسطورية.

وبالتالي فالأسطورة في حاجة للفلسفة وذلك لتصبح قابلة للفهم. وتظهر آراء مرسيا إلياد لتبين أن الأسطورة هي الأصل الأول للمجادلات الفلسفية التي نبعت من الأساطير ذات الصلة ببدايات الكون و نشأته و صورته في الأذهان.(1)

---

1. انظر إلياد (مرسيا), المرجع السابق: ص177.

الارتباط بالدين:

إن علاقة الأسطورة بالجانب الفلسفي لا ينفي عنها ارتباطها بالجانب الديني. فإن كانت علاقتها بالفلسفة فيها عدّة التباسات احتاجت التوضيح، فإنّ علاقتها بالدين علاقة متينة، بل تكاد لا تنفصل عنها وكأنهما شيء واحد.

والمادة الموجودة في تفسير الأساطير يظهر فيها هيمنة المصطلح الديني للتعبير عن المبادئ السامية, والدروس الأخلاقية للأسطورة.

وهذا لا ينفي دور الفلسفة في فهم الأسطورة، لكن اللغة المستعملة للتعبير هي اللغة الدينية. وتغلب على تلك اللغة عدة مصطلحات مثل "المقدس" و"الآلهة" و"المعتقد" و"الخضوع" و"السحر".

ويبدو تعريف إلياد الذي أكّد فيه على قدسية الأسطورة خير دليل على هذا الأمر، يقول إلياد: "الأسطورة هي تراث مقدّس، ووحي أوليّ، وطراز نموذجيّ"(1).

و يبدي هذا الكلام تأكيدات واضحة على العلاقة الوثيقة بين الأسطورة والدين. فالأسطورة حسب إلياد "تراث" أي هي ذاكرة تربط بين مجموعة من الأفراد لهم قومية متحدة و خصائص مشتركة. وميزة هذا التراث أنّه تراث مقدّس وذلك لاشتماله على أحداث وقعت في زمن غابر مع شخصيات مقدسة وأبرزها الآلهة.

---

1. إلياد(مرسيا), المرجع السابق: ص5.

- الخصائص التعبيرية:

لقد أبدع صانعو الأساطير في ابتكار أساليب للتعبير عن أفكارهم وهذا يؤكد أن هؤلاء الشعوب لهم طاقة إبداعية لا يستهان بها.ومن هنا لا يمكن القول بأن الإنسان القديم بليد الذهن ركيك التفكير كما بينته نظريات "لفي برول" في كتابه العقلية البدائية.

فقد خُلّدت أعمال الإنسان البدائي سواء اليدوية مثل الأعمال الفنية أو الأدبية مثل الإبداع القصصي.

قوة المعنى:

تتميز الأسطورة بطابع فريد من نوعه جمعت فيه بين الدين والفلسفة والواقعية، مما جعل أساطير تبقى خالدة في أذهان الناس بقوة المعنى، ومن تلك الأساطير الملاحم تروي قصة الخلق التي هي صراع متواصل بين الآلهة فيما بينها أو بين الآلهة والبشر.

والأسطورة مشابهة للشعر لكنها ليست شعرا ينشد للتسلية فهي واقعية ومقدسة وهادفة، إذ أنها لا ترتبط بالحقيقة بل تتجاوز ذلك الحد لتصل إلى الإعجاز. ويقول كارم عزيز"كما أنها لا تلتزم في موضوعها بالحقيقة المحسوسة المعقولة, بل تتجاوزها إلى المبالغة تارة والى الإعجاز تارة أخرى"(1)

---

1. محمود عزيز(كارم), المرجع السابق: ص20.

ويتضح مما سبق أنه لا مجال لاعتبار الأسطورة ضربا من الشعر وذلك لأنها عند البدائيين هي أحداث مقدسة صارت في زمن معين لكنها ورد في سياق مشابه للشعر.

والشعر في أصله يتميز بخصائص أسلوبية يسعى الشاعر فيها لاختيار الألفاظ من أجل الإبداع الفني لا غير.

وعلى العكس من ذلك فهدف مؤلّف الأساطير هو أسمى من النبوغ في المجال الفني, إذ أنه يهدف من الأسطورة بالبحث عن حقيقة وجودية، والتساؤل عن ماهية الإنسان في الوجود. وهذا الأمر أبعد ما يكون في الشاعر الذي لن يتكلم على تلك الوجود والآلهة إلا من منظور إبداعي فقط, لا من منظور إعتقادي.

التمثيل والتجسد

إن الإيمان بالأسطورة يجعلها في ذهن البدائي حقيقة مفروغ منها. وهذه الحقيقة لا جدال فيها, وانطلاقا من هذا الأمر يصبح أي حدث غريب عن العقل البشري حقيقة فالتنين حقيقة والآلهة حقيقة و طريقة خلق البشر حقيقة.

و يذهب البدائيون إلى اعتبار أن صفاتا مثل الخير والشر والحبّ يمكن أن تتجسّد.ولا إشكال في هذا الأمر باعتبار أن الأسطورة لها خاصية اللامعقول و اللامنطق، وبالتالي مكن قبول هذا التجسد.وتبين الاحتفالات التي تقام عند تخليد ذكرى معينة وتتلى فيها الأسطورة تجسّد الصفات وكيفية فعل شيء يوميّ بطريقة الأسلاف، يقول إلياد "كان يجري نقل تلك الأساطير إلى المبتدئين, أثناء عمليّة إعدادهم وتأهيلهم للاننتساب إلى الجماعة أو بالأحرى كان يحتفل بالأساطير أي كانت تعاد إلى الراهن"(1)

الرمزية

الرمز في الأصل هو لغة وُجدت للتعبير عن حالة معينة أو وضعية معينة وفي الأسطورة لا يكون التعبير عن الأحداث إلا بشكل رمزيّ، ومن هنا تتجلى قيمة الرمز. ويتضح من ذلك قوة العلاقة بين الأسطورة والرمز فهي لا تهتم بإعطاء المعنى بطريقة مباشرة لذلك تلجؤ إلى الرموز كوسيلة لإخفاء المعنى المجازي.

1, إلياد(مرسيا), المرجع السابق: ص2

ويهتم العديد من الأنثروبولوجيون برمزية الأسطورة مثل "جلبير دوران" و"كاسيرر" فالأول يؤكد على المعنى الرمزي للألفاظ والآخر يؤكد على المحتويات الرمزية للوعي الأسطوري بينما يرفض "مالينوفسكي" رمزية الأسطورة حيث تعتبر أنها تعبّر عن مادتها وموضوعها بطريقة مباشرة وليس بطريقة رمزية (1)

وهذا الاختلاف في نظرة الأنتروبولوجيين للرموز في الأسطورة لاعتبارات عدّة أولّها اختلاف المدارس العلمية التي ينطوي تحتها هؤلاء العلماء، ثاني الاعتبارات العمق الفلسفي للأسطورة ونظرة العلماء لهذا الأمر ومراعاتهم له، فكلّ واحد منهم له وجهة نظر مختلفة عن غيره في هذا الأمر.

وتبقى قيمة الرمز واضحة في الأسطورة فهي كما اتضح في مناسبات سابقة عند دراستها مع الفلسفة، أنها متكاملة معها و لا تنفصل عنها، وبناء على ذلك لا يمكن فصل الرمز عن الأسطورة لأنه جزء لايتجزّء من الفلسفة.

---

1. انظر محمود عزيز(كارم), المرجع السابق: ص21

- الخصائص البنيوية:

المكونات

*خاصية التكرار

إن هذه الخاصية تهيمن بشكل كبير على جميع الروايات اذ أن متتبع الأساطير يجد نفس المكونات في جميع الأساطير وان كانت تتجلى بصور مختلفة.إذن يعتبر العديد من الأنثروبولوجيون أن هذه الخاصية هي الخاصية الأساسية.

*خاصية التعالي:

أي سمو الأحداث والأفكار، بل جميع المكونات الأسطورية, وتخلصها من قيود الزمان والمكان والتجربة اليومية الواقعية

*خاصية القداسة:

فهذه المكونات لا تخضع إلا لمبادئ العقيدة حيث أنها لا تخضع للعقل النقدي أو المنطقي التحليلي

العناصر

*الشخصيات:

تتميز الشخصيات الأسطورية بعديد الخصائص فهي:

**أولا:هي شخصيات نموذجية أي أنها قابلة للإتباع والتقليد فهو القدوة التي يجب أن يتبعها المرء في حياته.فمثلا "تعيش إحدى القبائل على صيد الأسماك.

وقد تم لها الاعتماد على دلك المورد، لأن كائنا فائق الطبيعة علم أجدادها، في أزمنة الأسطورية، كيفية شوائها و إعدادها للطعام."(1)

**ثانيا:هي شخصيات خارجة عن إطار الزمن "لا تخصّ العالم المعتاد الذي يحياه المرء كل يوم "(2)

بالتالي على من يطلع عليها أن يخرج من إطاره الزماني والمكاني العادي ويحيا في إطار الشخصية الأسطورية أي إطار الزمن الأول

**ثالثا:تعدد الشخصيات بشكل ملفت "فتزدوج هده الشخصيات وتتكاثر في الوقت الذي تتكرر فيه الأحداث"(3).

إذن فهدا الكم الهائل من الشخصيات ضروري كلما تعددت الأحداث لأن الأفكار هي بدورها تتعدد وتأخذ أدوارا فعلية لمقتضيات الحاجة الأسطورية.

*الأحداث:

**أولا:متباينة:أي أنها تمتزج بالخيال مما يجعلها غير قابلة للتفسير العقلي.أي أنها لا تعترف بالمتناقضات.

**ثانيا:قابلة للتكرار:أي أنها أحداث خالدة خلود الشعوب مستمرة استمرار الإنسان

---

1. الياد مرسيا,المرجع السابق: ص19.
2. إلياد(مرسيا), المرجع السابق: ص18.
3. محمود عزيز(كارم), المرجع السابق: ص22.

فضل الممارسات الطقسية ومثال دلك أن تتلى بعض الأساطير التي تبين أصل شيء ما"وعندما يقوم المرء بتلاوة أسطورة الأصل إنما يرغم الأرز لأن يبدو بتمام العافية, وفير العطاء وبديع الشكل, تماما كما كان عند ظهوره إلى الوجود, للمرة الأولى, ليس للرجل أن يذكر حبات الأرز كيف حصل خلقها, حتى يعلمها فيما بعد, ويدلها على السبيل الواجب سلوكه لتأمين نموها السليم, إنما يرغمها بوسيلة سحرية على الرجوع إلى الأصل, أي يلزمها أن تستعيد خلقها النموذجي جرى في ذلك الزمان, لتغدو مليحة على غرار نموذجها الأول"(1)

*الزمان

**أولا: أزلية الزمن: الزمن الأسطوري هو زمن غير محدود يشير إلى الزمن القديم حيث بداية الأشياء "والحق أنه لا يوجد للزمن الأسطوري مبنى محدود,وإنما هو أزلي, ذلك أن الأسطورة ترى أن الماضي لم ينته بعد, بل ما يزال مستمرا"(2)

**ثانيا :قدسية الزمن:وصف الياد الزمن الأسطوري بأنه "زمن قوي" لأن الإنسان القديم يعتبر أن الكائنات الفائقة الطبيعة قد قامت بممارسات خارقة للعادة وكان.

---

1. إلياد(مرسيا), المرجع السابق: ص24.
2. محمود عزيز(كارم), المرجع السابق: ص24.

حضورها حضورا مبدعا فعالا(1)
وفي تلاوته لتلك الأساطير يسترجع تلك الأحداث بالخروج من الزمن العادي إلى زمن اللامألوف أي زمن الآلهة و الأبطال الأوائل.

*المكان

**تعدد الأماكن:تشتمل الأسطورة على عوالم عديدة فيوجد عالم الآلهة و عالم الموتى وعالم البشر إلى غير ذلك

**غرابة الأماكن:هذه الأماكن لا تمت لواقع بصلة لأنها أماكن خارجة عن إطار المعقول

**ارتباطها بالزمان :هذه الأماكن تحتاج بسبس طبيعتها غالى زمن يناسب تلك الخصوصيات.

---

1. انظر الياد (مرسيا), المرجع السابق: ص24.

المبحث الثاني: وظيفتها

- إعادة الحياة إلى أصلها الأول

تشكّل الأساطير عموما وأساطير الخلق خصوصا نبراسا مهمّا تتّضح منه حقيقة. الإنسان, وأصل الكون, وغاية الوجود ولاشك, فمثل هذه الأساطير تعطي إجابات أنطولوجية عن الأصل الأول للحياة وفي هذا الإطار يتنزل رأي إلياد القائل بأهميّة مثل هذا النوع من الأساطير, حيث يقول" تتحدث الأساطير عن عملية خلق, وتقول كيف ظهرت بعض الأشياء, وكيف بدأت بداية وجودها"(1) ومن خلال المادة الموجودة التي تبيّن مفهوم الأسطورة, يتأكّد البعد الفلسفي للأسطورة. ومن هنا, تخرج الأسطورة من كونها مجرّد حكاية مسلّية إلى بعد أسمى وهو حقيقة الوجود.يقول مالينوفسكي " الأسطورة منظورا إليها بما فيها من عنصر غني بالحياة ليست تفسيرا يراد منه تلبية فضول علمي, بل حكاية تعيد الحياة إلى حقيقة أصلية وتستجيب لحاجة دينية عميقة, وتطلعات أخلاقية, وواجبات وأوامر على المستوى الاجتماعي, بل و حتى متطلبات عملية"(2) و تلعب أيدي مؤلّفي الأساطير دورا في اختيار الشخصيات والأماكن وحتى الأحداث, ليجعلوا من أنفسهم ومن أجدادهم

---

1. إلياد(مرسيا), المرجع السابق: ص11
2. الخطيب(محمد), الأثنولوجيا :دراسة عن المجتمعات البدائية, الطبعة الأولى, دار علاء الدين 2000 : ص195

أصل الكون وهم السبب في وجود البشرية على الأرض. و يقول محمد الخطيب "ففي الأسطورة يعاد تشكيل الكون وكل ما به على النحو الذي يهواه القلب. وينسحب صانعوا الأساطير أنفسهم على أنهم الشعب المختار, أو أنهم أول ما خلق من الشعوب وأكثرها أصالة, وهم يعيدون صبّ الكون كما لو كانوا يريدونه أن يؤدي وظائفه بطرق تكون أكثر خضوعا لتحكم الإنسان."(1)

وبالتالي فوجود الأسطورة يمكن اعتباره ضرورة للشعوب التي ترغب في أن تجعل لها تاريخ أكثر عمقا وأكثر حضورا.

و قد سارت جميع الشعوب في هذا النهج لتخلد ذكراها لدى اللاحقين من أبنائها و أبناء القبائل المجاورة لها.ويتضح هذا الأمر من خلال إعادة أسطورة الخلق بطرق مختلفة رغم الاشتراك فيما بينها الأهداف من وجودها والمبادئ المثلى التي تكتنزها. إذن، فإنسان اليوم هو نتيجة مباشرة لتلك الأحداث الأسطورية ولقد تكون وتتشكّل بفعل تلك الأحداث. يذهب إلياد إلى أن" معرفة الأساطير إنما تعني التعرف على سرّ أصل الأشياء. بتعبير آخر, لا يتعلم المرء عن طريق الأساطير كيف أتت الأشياء إلى الوجود فحسب, بل يتعلّم أيضا أن يجد تلك الأشياء, وكيف يجعلها تتجلّى, من جديد, عندما تتوارى عن الأنظار."(2)

---

1. الخطيب(محمد), المرجع السابق: ص195
2. إلياد(مرسيا), المرجع السابق: ص21.

- تفسير المعتقدات والمبادئ الأخلاقية:

تتميز الأساطير جميعها بالبعد الأخلاقي الذي يسمو فيها. ويتجلى هذا البعد من خلال ثنائية الخير والشر التي تكون في صراع متواصل لينتصر الخير في الأخير.

يقول جوزيف كامبل " كان للأسطورة وظيفة أساسية وهامة في الحضارات البدائية, وإنها تعبّر عن المعتقدات والشرائع, وتبرز شأنها, تصون المبادئ الأخلاقية وتفرض العمل بها, تكفل فعالية الاحتفالات الطقسية, وتتقدم القواعد العملية المتصلة بشؤون الحياة اليومية"(1)

إنّ نظرة الإنسان البدائي للأسطورة تنفرد عن نظرة أيّ إنسان آخر فهو لا يراها كما يراها المسلم مثلا, فإن كانت لهذا الأخير نظرة استنكارية للأسطورة وذلك لامتلاكه حقيقة وجودية أخرى قائمة على العقل والوحي كأساسين للشريعة، فإنّ البدائي لا يراها مخالفة للعقل و ذلك لقيامها على المعقول واللامعقول في آن واحد، بالإضافة لاشتمالها على الوازع العاطفي القائم على الإيمان بإنجازات الأجداد من أجل الخلف وتضحياتهم من أجل استمرار الحياة على النحو الصحيح.

---

1. جوزيف كامبل, قوة الأسطورة, الطبعة الأولى, دار الكلمة 1999: ص29.

يقول جوزيف كامبل"اقرأ الأساطير إنها تعلمك أن تتوجه إلى الداخل حيث تصلك رسالة الأسرار والرموز. اقرأ أساطير الأقوام الأخرى و تجاوز ما يرتبط منها بمعتقداتك الخاصة لأنك ستميل إلى تفسير دينك ضمن شروط الحقائق المتاحة. لكن إذا قرأت الأشياء المختلفة ستبدأ بفهم الرسالة."(1) ومن خلال هذا الكلام, يتجلى الجانب الديني والجانب الأخلاقي في الأسطورة. وتكون هي في ذاتها تفسيرا لتلك القيم السمحة التي يسعى المرء لكسبها ولا تكون الأسطورة إلى سبيلا مهما في الحصول عليها.

- الكشف عن نماذج مثالية لجميع الطقوس :

تُعتبر الأسطورة تراثا مقدسا ترسّب عبر العصور في أذهان الإنسان البدائي. وهي تواريخ صادقة لأنها تروي أصل العالم في المقام الأول رغم أنها تتحدث عن كائنات غريبة.ويقول إلياد في هذا الإطار مفرّقا بين التواريخ الصادقة والتواريخ الكاذبة، إذ يقول " في التواريخ الصادقة نحن نرى أنفسنا أمام المقدّس وفائق الطبيعة. و على النقيض من ذلك نكون في التواريخ الكاذبة أمام محتوى دنيوي، وأمام مضامين مستمدّة من مجرى الحياة الماديّة، لأن القصص التي تتناول أعمال الذئب تحظى برواج شعبي منقطع النظير"(2)

---

1. كامبل(جوزيف), المرجع نفسه: ص23.
2. إلياد(مرسيا), المرجع السابق: ص15.

ومن هذا المسار يمكن للأسطورة أن تتجه نحو الفاعلية الشعائرية التي تستجيب لخصوصيات طقوسية معينة مقترنة في أصلها بشخصيات الأساطير الذين قاموا بتلك الطقوس على ذلك النحو. وقد أكد علم الأنتروبولوجيا على هذه الناحية باعتباره علما يدرس الإنسان من خلال التجربة والبحث الميداني.

ومن بين الأبحاث التي قام بها الأنثروبولوجيون في هذا المجال أعمال "استريلو" الذي رصد حياة قبيلة "أرونتا" لمعرفة سبب إقامة بعض الاحتفالات، فكانوا يجيبون بأن الأسلاف فعلوا هذا الأمر.(1)

وهذا الأمر لا يختلف عن الموجود لدى قبيلة "نافاهو" الهندية الذين كانوا يبرّرون احتفالاتهم بقولهم "لأنّ الشعب المقدس سار على هذا المنهج, وقام بأداء الاحتفال, للمرّة الأولى, على هذا النحو"(2)

ولا يبعد ما هو موجود في القبيلة السابقة عن نظيرتها في بلاد التيبت, فتقديم الأضاحي يجب أن يقدّم طبقا للممارسات التي انتقلت إليهم منذ خلق الأرض، وكما فعل أجدادهم, فهم يفعلون.

---

1. انظر إلياد(مرسيا), المرجع السابق: ص12.
2. إلياد(مرسيا), المرجع نفسه: ص13.

وبالتالي لا يمكن أن يشك أحد في دور الأسطورة التي تفسر كيفية أداء ممارسة طقوسية أو شعائر, يقول إلياد " ليس باستطاعتنا أداء ممارسة طقوسية أو شعائر إذا كنّا نجهل أصلها، أي إذا لم نعرف الأسطورة التي تخبر كيف حصلت الممارسة، وكيف جرت الشعيرة, للمرة الأولى"(1)

- الكشف عن نماذج مثالية للنشاطات البشرية

إن سلوك الإنسان البدائي موروث عن الأجداد, بل هو موروث أسطوري كانت الكائنات الخارقة تقوم به. ولا يقف هذا الموروث عند الشعائر والطقوس الدينية فقط إذ يتجاوزه إلى الأنشطة البشرية مثل الأكل والشرب و الزواج وباقي الأعمال.

فالأسطورة تتحول في هذا الإطار إلى جزء من الحياة اليومية, يقول مرسيا: "لهذا باتت النموذج المثالي لمجمل الأنشطة الإنسانية، ذات الدلالة والمعنى" (2)

وبالإضافة إلى ما يمكن أن توضحه الأمثلة السابقة الذكرى لقبائل "نافاهو" و"أرونتا" يمكن الاستشهاد بقبيلة "كي" في الجزر الغينية الجديدة التي يرفضون تغيير

---

1. إلياد(مرسيا), المرجع نفسه: ص25
2. إلياد(مرسيا), المرجع السابق: ص12.

طريقة عيشهم لأن هذا ما وجدوا عليه آباءهم حيث يقولون" علينا أن نترسم خطاهم ونفعل مثل ما فعلوا"(1)

وتتناقل إحدى قبائل أستراليا, وهم "الكراجيري" مأثورا مفاده أن كائنين علويين قد وضعا في زمن الحلم الأساس لجميع عاداتهم وجميع أوجه السلوك, مثل طريقة طهي الحبوب أو الصيد.(2)

وفي حقيقة الأمر لا يشمل الاقتداء بالأجداد في طرق الصيد والزراعة بل بتجاوز هذه الأشياء ليشمل طريقة الأكل والشرب والجلوس.

ويوضح هذا كلام إلياد "و كما بينا في كتابنا أسطورة العودة الأبدية فان أنماط سلوك الإنسان و فعاليته الدنيوية, تلقى نموذجها في أفعال الكائنات الخارقة. فعند أبناء قبيلة نافاهو الهندية كان يترتب على النساء الجلوس جلسة التربيع أو القعود الجانبي,وبالقرب منهم كان يتوجب على الرجال جلوس القرفصاء, لأنه قيل لهم أن كلا من المرأة المتغيرة المتحولة والرجل قاتل الغيلان, جلس وأقام, في ماضي الزمان, حسب تلك الأوضاع."(3)

---

1. انظر إلياد(مرسيا), المرجع نفسه: ص12
2. انظر الخطيب(محمد), المرجع السابق: ص194.
3. إلياد (مرسيا), المرجع السابق: ص13.

تأليـــف:

تتميز الأسطورة بخصائص فريدة من نوعها, سواء كانت خصائص فكرية أو تعبيرية أو بنيوية. ومن هذه الخصائص تتجلى قيمة الأسطورة.

فأسطورة الخلق تعتبر أشهر الأساطير على الإطلاق وأكثرها تداولا بين الناس، وتعود هذه الأهمية لاعتبارات عدة أهمها خصائص هذه القصة التي تحكي أصل الإنسان وسبب وجود الكون، فأساليب هذه الأسطورة قوية في المغنى والأسلوب الذي كتبت به فالشخصيات مقدسة غريبة في هيكلها, لكنها قريبة إلى قلوب الناس ومحبوبة. لماذا ؟ لأنها تجيب عن أسئلة نفسية عميقة جدا تطلبت في كتابتها طرق منهجية جعلتها تؤثر في النفوس.

و ليس من الصعب على الأسطورة أن تحتل مكانة هامة في النظام الديني البدائي لأنها إخبار عن أحوال الأسلاف الذين يتميزون بالقداسة حتى أضحت الشعوب اللاحقة لها تستغل إنجازاتها لتسير على خطاها.

والأسطورة ليست مجرد اعتقادات ومبادئ سامية بل عي نمط عيش يجب الاقتداء به حتى في الأكل والشرب وغير ذلك.

الفصل الرابع:

نماذج من الأساطير.

تمهيـــــد

إن الباحث في مجال الأساطير يلاحظ الزخم الموجود من الناحية العددية, فالأساطير تتعدد حتى في القبيلة الواحدة. فالأعمال اليومية لها أساطيرها، والاحتفالات موجودة بمناسبة التذكير بأسطورة، و يوم موت بطل القبيلة يمكن أن يتحول إلى يوم أسطوري فيحتاج إلى أسطورة.

ولعل من أهم الأساطير قيمة وأقدسها هي أسطورة الخلق.فهذه الأسطورة هي أسطورة مشتركة بين الأمم جميعها. ويشير مصطلح الخلق بالمعنى الضيق إلى ظهور العالم على يد الرب أو يشير إلى فعل من الأفعال التي ظهر العالم عن طريقها إلى الوجود(1) وبالتالي فأسطورة الخلق هي"رواية رمزية عن بداية العالم كما فهمها مجتمع معين" ويتّضح من البحث في شعوب الشرق الأدنى القديم اهتمامهم بهذه الأسطورة، حيث لعبت هذه الأسطورة دورا مهما في حياة هؤلاء حتى أمضوا احتفالاتهم السنوية في تجسيدها.

إذن, اقتضت قيمة هذه الأسطورة لدى هذه الشعوب، وضرورة عدم التطويل الاقتصار على نموذج واحد للأسطورة وهي"أسطورة الخلق" والاقتصار على معالم هذه الأسطورة في منطقة واحدة وهي منطقة الشرق الأدنى القديم وبالأساس بلاد الرافدين.

---

1. انظر محمود عزيز(كارم), المصدر السابق: ص27.

المبحث الأول: المواضيع الأسطورية الكبرى.

إنّ مراحل تطوّر الإنسان في الكون هي مراحل حسّاسة و معقدة، وقد كان هذا الكائن يحسّ بهذا التعقيد من خلال أساطيره التي كانت تلمح لنا عن طريقة تفكيره.

فمواضيع الأسطورة مختلفة لهذا السبب. وكل أسطورة تعبّر بشكل أو بآخر عن فترة زمنية محددة.

فالأساطير المدينية تختلف عن أساطير العهد الحجري فالإنسان وصل إلى درجة من الوعي بالمحيط.

و تتعدد تسميات الأساطير حسب المواضيع التي تتطّرق إليها. فنجد أسطورة تتحدث عن أصل الكون و نشأته و الإنسان و مأتاه فتسمّى الأسطورة "أسطورة الخلق". و نجد أسطورة تتحدّث عن بطل رسخ فكرة أو مجدا يطمح أي شخص أن يصله فتسمى الأسطورة باسمه مثل" أسطورة جلجامش". و نجد أساطير تتحدث عن حالة كونية مدمرة من كوارث طبيعية فتسمى مثلا "أسطورة الطوفان".

ولا تعدو الأساطير أن تكون مهمّة من خلال الأعمال التي يقوم بها بطل أسطوري سواء كان آلهة أو إنسان، يقول إلياد مرسيا عن الأسطورة أنها" تذكر

كيف خرج واقع ما، إلى حيز الوجود، بفضل أعمال باهرة قامت بها كائنات خارقة عظيمة"(1)

و يضيف " بهذا الاعتبار, تتحدث الأساطير عن عملية خلق, وتقول كيف ظهرت بعض الأشياء, وكيف بدأت بداية وجودها: ادن لا تتكلم الأسطورة إلا عما وقع بالفعل, و ما ظهر ظهورا تاما على مسرح الحياة "(2)

إن أهم المواضيع التي توجد في الأسطورة هي مواضيع تنطلق من الواقع لتتخذ صبغة قدسية من خلال الهدف الأسمى الذي يرغب البطل البشري أو مجموعة من الكائنات في الوصول اليه.

يقول إلياد " تصف الأساطير الحالات المختلفة، المؤثرة والدرامية، أحيانا، لبروز العنصر المقدس أو الفائق الطبيعة بروزا مفاجئا."(3)

الخلق

لقد تناول كل شعب موضوعا من المواضيع الأسطورية وانفرد بها على حسب الخصائص الطبيعية والزمنية له. و لعلّ من أبرز المواضيع الشيّقة التي اشتركت فيها الأساطير جميع نجد مسألة الخلق، فالإنسان ما هو مصدره ؟ وما هي حقيقته ؟ ولماذا وجد ؟

---

1. إلياد (مرسيا), المرجع السابق: ص11.
2. إلياد(مرسيا), المرجع نفسه:,ص11.
3. إلياد (مرسيا), نفس المرجع: ص ص 11-12.

و كلّ هذه الأسئلة تجيب عنها أساطير الخلق. لكن تبقى طريقة كلّ شعب في تناول المسألة مختلفة عن أختها. يقول محمد حسين فنطر "ففي سومر, جنوب وادي الرافدين, نشأت أساطير مضمونها أن الإنسان أنجبته الأرض وقد أخصبتها السماء فيبدو الإنسان من بناء الأرض والسماء. وفي أسطورة أخرى, نشأت في مدينة نفر. نرى "الإله إنليل" يخلق الإنسان تسوية بيديه حتى كأنه الفاخوريّ. و في مدينة إريدو" أسطورة ثالثة مضمونها أن الآلهة تكاثرت و أصبحت غاضبة عن وضع يفرض عليها توفير ما تحتاجه. وفي الحاجة فقدان الحرية والسيادة. فتفاديا لذلك، طلبت "نمو" من ابنها "أنكي" أن يفعل شيئا حتى تتخلص الآلهة من نير العبادة، والعبادة هنا من عبد يعبد أي يعمل فالعبادة في السياق تعني العمل وفي العبادة عبودية."(1)

ويتّضح من هذا الكلام أنّ عملية خلق الإنسان عملية ليست بالبسيطة البتة لأنها اقترنت بعملية مقدّسة هي أسمى ممّا يمكن أن يكون. حتّى جعل العملية تأخذ أشكالا مختلفة من مكان لآخر.

و في المبحث القادم من هذا الفصل, يكون الاهتمام بهذه المسألة بأكثر دقّة من خلال البحث في مضمون واحدة من أبروز أساطير الخلق المشهورة.

1.فنطر(محمد حسين), المرجع السابق: ص67.

- الخلود البشري:

إنّ مسألة الخلود مقترنة بالأساس بعديد العناصر الأخرى. فالعلاقة تبدو واضحة بين هذه المسألة والعنصر البشريّ، ويتعلق الخلود بالإنسان لأنّ فطرته تفرض عليه مثل هذا المطمح الذي يبدو على غاية من الصعوبة. أمّا العنصر الثاني هو الموت الذي يخشاه الإنسان ويمثل المعرقل لوجوده في الحياة الأولى والتي لا يرغب في تركها ومفارقة ملذّاتها. ومن العناصر الأخرى يمثّل إشكال الخلود في علاقته بالخلق أحد المسائل التي تحتاج الفهم فالإنسان يجب أن يفهم غاية وجوده التي لها علاقة هي الأخرى بمسألة الخلود فهل هو حقّ للإنسان لابدّ أن يكسبه أو هو مجرّد مطمح مشروع بحكم الفطرة الإنسانية التي تحتّم على المرء أن يخمّن فيها.

كما تظهر علاقة هذه المسألة بأبطال شعبيّ على غاية من الوضوح, زمن هؤلاء الأبطال تظهر شخصية أتراخاسيس على الواجهة الأولى, حيث يتعلق أتراخاسيس بشخصية فذّة و خالدة ذات حضور أدبي و دينيّ متميّز هيمن على مختلف الأماكن, تقول ستيفاني دالي عن أتراخاسيس "فعمّت شهرته أصقاعا واسعة على امتداد حوالي خمسة آلاف سنة"(1)

---

1. دالي(ستيفاني), أساطير من بلاد ما بين النهرين*(ترجمة نجوى نصر)*, الطبعة الأولى, بيسان للنشر والتوزيع 1997: ص21.

ويرتبط اسم "أتراخاسيس" في التاريخ بملك من ملوك بلاد سومر، تقول ستيفاني" كان أتراخاسيس و الذي سميّ زيوسدرا، هو نفسه حاكما لمدينة شوروباك، وربّما كان يعتبر السلف والمؤسّس الرمز للمواطنين هناك."(1)

وقد مثّلت هذه الأسطورة *أولى الأساطير التي تتعلق بعملية الخلود وطرحت المسألة طرحا واضحا بحكم الأسبقية الزمنيّة على أساطير أُخرى اهتمت بالموضوع.

ومن هذه الأساطير جلجامش* ذلك البطل الشعبي الذي يسعى بكلّ قو"ة للحصول على الحياة الأبدية، لكن يخسر كلّ شيء بسبب هفوة ارتكبها.

الطوفان:

تتعلق مسألة الطوفان بالوجود البشريّ والحدّ من كثافة هذا العنصر من على الوجود, فهو معرقل للخلود الذي يسعى الإنسان الحصول عليه، وفي بلاد مابين النهرين تظهر قصة الطوفان من خلال فيضان نهر الفرات فيضانا وافرا فوق الأراضي الفاصلة ليصب في نهر دجلة الواقع في أراضي أكثر انخفاضا، والذي كان بدوره يفيض بشكل مفاجئ متخطيا ضفافه.

---

1. دالي(ستيفاني), المرجع نفسه: ص 21.

* و تعود الألواح التي تحمل النص البابليّ القديم إلى حوالي عام 1700ق.م. وينقسم كلّ لوح إلى ثمانية أعمدة, أربعة على الواجهة وأربعة على الظّهر.

* تعود الألواح التي تتضمّن الأسطورة إلى أوائل الألف الثاني قبل الميلاد.

وفي الأسطورة المصرية يفيض نهر النيل على الضفاف المجاورة ليحدث أضرارا كبيرة للمواطنين.

وهذه الحالة الطبيعية ليست غريبة على المجتمعات التي ظهرت فيها هذه الأسطورة فقد كشفت الأبحاث التي أجراها علماء الأركيولوجيا* وعن آثار عديد الفيضانات. التي استهدفت هذه المناطق وقد اختلف أثره من مكان لآخر, تقول دالي" إنّما من المستحيل حدوث طوفان بالمقياس ذاته في فلسطين، أو سوريا، أو الأناضول، أو اليونان"(1)

فحادثة الطوفان هي حدث شمل العالم بأسره لكن يختلف حضوره من مكان لآخر بحضور الأودية, يقول كارم عزيز "وهو حادث تصوره الأقدمون أنه في عصر موغل في القدم، وأنه كان كونيا أي أنه لم يقتصر على وادي الرافدين فقط، وإنما شمل العالم القديم بأسره"(2)

لقد شكّل الطوفان إشكالا واضحا في المواضيع الأسطورية استوجب حضوره في أغلب الأساطير إن لم نقل جميعها، وقد كان يمثّل خوفا أو شبحا مرعبا يخشاه البدائيون لأنّه مقترن بالدمار أي بالموت

---

1. دالي(ستيفاني)و المرجع السابق: ص24.
2. محمود عزيز(كارم), المرجع السابق: ص199.

الخـاتمة

ولا يسعنا في هذا المقام إلاّ أن نبرز أهم النتائج التي نخرج بها من هذا البحث المقترن بخصوصيات الأسطورة في المعتقدات البدائية:

1. إنّ دراسة الأسطورة في المعتقدات البدائية تتميز بكونها مجالا واسعا للبحث من الصعب حصره، فقد تعدّدت العلوم التي تدرسها فتعددت النظرات لها.
2. إنّ الآراء المختلفة حول أهمية الأسطورة لا تعكس قيمة هذه الأخيرة، لأنها تمسّ جميع جوانب الحياة لدى الإنسان البدائي، الذي لا يمكن أن يعيش حياته إلا في ظلّ الأسطورة.
3. إنّ قدرة هذه الظاهرة على البقاء، يؤكد على أهميّها فلو لم تكن ذات قيمة لدى البدائيين لاندثرت منذ زمان.
4. إنّ مميزات الأسطورة الفلسفية تبعدها كل البعد عن اعتبار الظاهرة مجرد حالة عرضية تشوّه الدين، فخلودها يعود للمعاني الخالدة التي تنادي بها الأسطورة.
5. ليست الأسطورة مجرد رواية مسلية بل هي تعبر عن دين بدائي يكتشف فيه الإنسان لغز وجوده، فهي قصة مقدسة عن زمن غابر ومقدس.

6. لقد أبرز هذا البحث أن الشعوب البدائية ليست شعوبا همجية و متخلفة، على العكس من دلك فاحترام أهل هذا الزمان لهذه الشعوب هو احترام لأنفسهم قبل كل شيء.
7. إنّ الأسطورة لا تمثل المجال الوحيد الذي أبدع فيه البدائيون بل أولت للمجال الفني كل اهتمام، وعلى بساطة المنتوجات المصنوعة فإنّ المعاني التي تستجلبها أكبر.
8. تمثل دراسة الأسطورة سبيلا إلى فهم ديننا وبالتالي الدفاع عنه أمام الملحدين الذين يشككون في الوجود الإلهي لتسيير الكون.
9. تمثل الأسطورة جانبا مهما مرّ به العقل البشري والذي عليه أن لا يستهجنه.
10. لقد أثرت الأسطورة في الفكر الديني السماوي من خلال الفكر اليهودي مثلا الذي تأثر كل التأثر بأسطورة الخلقي التي لها ملامحها في هذا الفكر.

قائمة المصادر و المراجع باللغة العربية.

1) القرآن الكريم.
2) إدريس (سهيل): المنهل، الطبعة السابعة، دار العلم للملايين 1983.
3) أرمسترونغ(كارين): موجز تاريخ الأسطورة*(ترجمة أسامة اسبر)*، الطبعة الأولى، بدايات للطباعة والنشر والتوزيع 2007.
4) إلياد (مرسيا): ملامح الأسطورة(ترجمة حسيب كاسوحة)، (دون ط)، وزارة الثقافة دمشق 1995.
5) ايمار(اندريه): تاريخ الحضارات العام,ترجمة فريد داغر و فؤاد أبو ريحان,منشورات عويدات، الطبعة الأولى 1964.
6) البخاري: الجامع الصحيح.
7) بريل(لفي): العقلية البدائية، ترجمة محمد القصاص و حسن الساعاتي:
8) البستاني(بطرس): دائرة المعارف، (دون طبعة) دار المعرفة (د.ت)
9) البعلبكي(منير): المورد الوسيط، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين 1980.
10) البعلبكي(روحي): المورد الوسيط، الطبعة السابعة، دار العلم للملايين، 2001.
11) بوتيرو(جان): الديانة عند البابليين(ترجمة وليد الجادر)، الطبعة الأولى، مركز الإنماء الحضاري 2005.
12) جهامي(جرار) ومعه: موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب، الطبعة الأولى، مكتبة لبنان ناشرون 1998: ص289
13) جهامي(جرار) ومعه: موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب، الطبعة الأولى، مكتبة لبنان ناشرون 1996
14) حنون(نائل): حينما في العلى: قصة الخلق البابلية(الترجمة الكاملة للنص المسماري والأسطورة)، الطبعة الأولى، دار الزمان للطباعة 2006.

15) الخطيب(محمد): الأنتروبولوجيا الاجتماعية، دار علاء الدين، الطبعة الأولى، 2005.

16) الخطيب(محمد): الأثنولوجيا :دراسة عن المجتمعات البدائية، الطبعة الأولى، دار علاء الدين 2000.

17) دالي(ستيفاني): أساطير من بلاد ما بين النهرين*(ترجمة نجوى نصر)*، الطبعة الأولى، بيسان للنشر والتوزيع 1997

18) دوران(جلبير): الأنثروبولوجيا:رموزها أساطيرها أنساقها، *(ترجمة مصباح الصمد)*، الطبعة الثالثة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع 2006.

19) السواح(فراس): الأسطورة والمعنى، دار علاء الدين، الطبعة الثانية 2001.

20) السواح(فراس): مغامرة العقل الأولى، دار علاء الدين، الطبعة الثالثة عشر 2002.

21) السواح(فراس): موسوعة تاريخ الأديان، الطبعة الأولى، دار علاء الدين 2003.

22) الطبرسي(الفضل): البيان في تفسير القرآن، الطبعة الأولى، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات 1995.

23) ابن عاشور(محمد الطاهر): التحرير والتنوير، (دون ط)، الدار التونسية للنشر 1984 .

24) عباس(فيصل): التحليل النفسي وقضايا الإنسان والحضارة، الطبعة الأولى، دار الفكر اللبناني 1991.

25) عبد النور(جبور) ومعه: المنهل، الطبعة السادسة، دار العلم للملايين 1980:

26) عجينة(محمد): موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، الطبعة الأولى، دار الفارابي (دون تاريخ).

27) علي الربيعو(تركي): الإسلام وملحمة الخلق والأسطورة، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي 1992.
28) كامبل(جوزيف): قوة الأسطورة، الطبعة الأولى، دار الكلمة 1999:

29) الكرمي (حسن سعيد): الهادي إلى لغة العرب، الطبعة الأولى، دار لبنان للطباعة 1991.
30) كنافي(عيادة)ومعه: الموسوعة الفلسفية العربية، (رئيس التحرير معن زيادة)، الطبعة الأولى، المعهد الإنماء العربي 1987.
31) لابلانش (جان): معجم مصطلحات التحليل النفس، *(ترجمة مصطفى حجازي)*، الطبعة الثالثة ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع 1997.
32) لوسيف(ألكسي): فلسفة الأسطورة *(ترجمة منذر حلوم)*، الطبعة الأولى، دار الحوار للنشر والتوزيع 2000.
33) لووي(روبرت): تاريخ الإتنولوجيا، (*ترجمة جاهل(نظير)*)، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر 1992.
34) بن محمد بن علي(أحمد): المصباح المنير، (دون ط)،نوبليس(د.ت)
35) محمود (مصطفى): الله، الطبعة الأولى، دار العودة 1972.
36) محمود عزيز(كارم): أساطير التوراة الكبرى، الطبعة الأولى، دار الحصاد للنشر والتوزيع 1999: ص14.
37) المسدي(عبد السلام): قاموس اللسانيات، (دون ط) ، دار العربية للكتاب 1984.
38) منتاغيو(أشلي): البدائية،
39) المنظمة العربية للتربية و الثقافة والعلوم: المعجم العربي الأساسي، لاروس 1989. ابن منظور(محمد)، لسان العرب، دار لسان العرب بيروت، (دون ط) :143/2

40) نعمة(حسن): موسوعة الأديان السماوية والوضعية(ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة)، الطبعة الأولى، دار الفكر اللبناني 1994.

المجلّات والدوريات:

1) التنوير: فنطر(محمد حسين): الدين من منظور تاريخ الأديان2003-2004، (ع 6): ص 66

فهرس المراجع باللغة الفرنسية.

Livres :

1. Eliade, Mircea*, Aspects de mythe*, Gallimard, Paris 1963, coll.*« Idées ».*

2. Frazer, James, Mythe sur l'origine de feu, traduit par Michel Drucker, Payot, Paris 1991, coll. «Petite bibliothèque Payot».

3. Frazer, James, Histoire générale des religion ; Magie et Religion, Aristide Guillet.

4. Reda, Youssef, *Al Kamel,* Librairie de Liban, Beyrouth 1989.

5. Patte, Etienne, Les hommes préhistoriques et la religion, A. et J. Picard *e*t Cie, Paris 1960.

Articles :

1. Baum, Gregory, « Définition de la religion en sociologie », *Concilium* 156 (1980), pp 44-54.

2. Gentil, Moëlle, « Claude Lévi-Strauss a cent ans », *Religions et Histoire* 24 (janvier-février 2009), p. 5.

المحتوى

المقدمة..... 1

الفصل الأول: تعريف الأسطورة وتاريخيتها.....11

تمهيد.

المبحث الأول: تعريف الأسطورة

المبحث الثاني: تاريخية الأسطورة.

الفصل الثاني: المعتقدات البدائية: جذورها وتشكّلاتها..... 46

تمهيد

المبحث الأول: تعريف البدائية

المبحث الثاني: خصائص المعتقدات البدائية

الفصل الثالث: خصائص الأسطورة ووظائفها..... 72

تمهيد.

المبحث الأول: خصائص الأسطورة.

المبحث الثاني: وظائف الأسطورة.

الفصل الرابع: نماذج من الأساطير..... 96

التمهيد

المبحث الأول: المواضيع الأسطورية الكبرى

المبحث الثاني: نماذج من الأساطير (أسطورة الخلق في بلاد الرافدين

الخاتمة.....